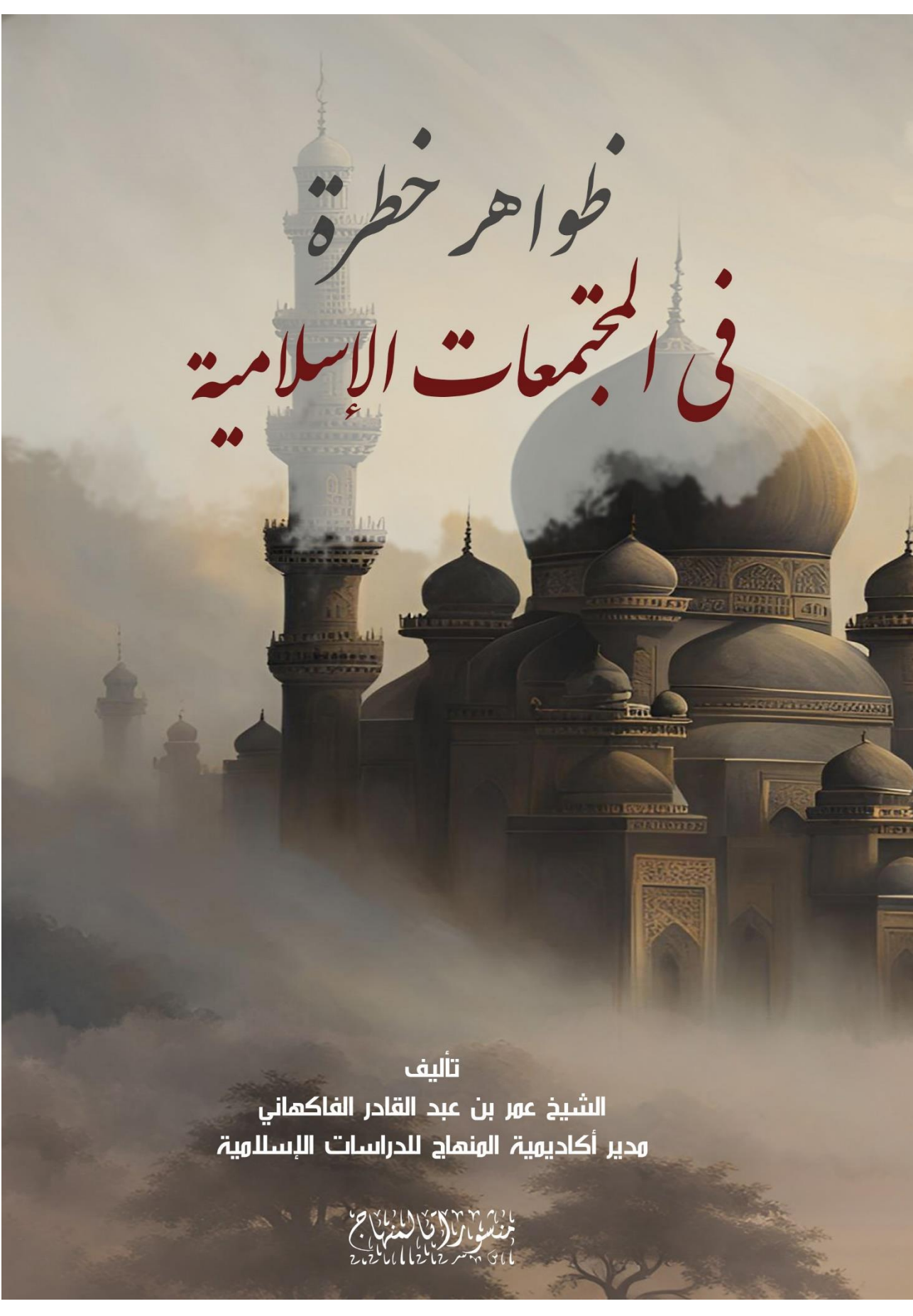

ظواهر خطرة في المجتمعات الإسلامية

تأليف

الشيخ عمر بن عبد القادر الفاكهاني

مدير أكاديمية المنهاج للدراسات الإسلامية

منشورات أكاديمية المنهاج

ظواهر خطرة

في المجتمعات الإسلامية

إعداد وتأليف

الشيخ عمر بن عبد القادر الفاكهاني

مدير أكاديمية المنهاج للدراسات الإسلامية

يقول الإمام المُزنيّ:

"قرأت كتاب الرسالة على الشافعيّ ثمانين مرة، فما من مرة إلا وكان يقفُ على خطأ، فقال الشافعي: هِيه، أَبَى اللّهُ أن يكون كتابًا صحيحا غير كتابِه"

القارئ الكريم،

اعلم أنني لم أدّعِ الكمال والعصمة في كتابي وجلّ من لا يخطئ

فإن أخطأتُ فأرشدني بارك الله فيك، عبر البريد الالكتروني الآتي:

البريد الاكتروني:

Ofakhani@gmail.com

وإنّي لك من الشاكرين.

موقع أكاديمية المنهاج للدراسات الإسلامية:

www.alminhajacademic.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله القدير المتعالي عن الشبيه والنظير الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، وكل شيء إليه فقير، وكل أمر عليه يسير، لا يحتاج إلى شيء وهو على كل شيء قدير، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الرسول الأمين، وخاتمِ النبيين وإمام المتقين، وسيد السابقين واللاحقين، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، وأشهد أن لا إله إلا الله الملك القدوس ربّ الملائكة والرّوح وأشهد أنّ سيّدنا محمدًا حبيب الحقّ وسيّد الخلق، وبعد:

ففي ظل الأحداث المتلاحِقة السريعة التي تعصِف بالإسلام وأهلِه في كلِّ بقعة من بقاع الأرض، وفي عالم ساد فيه التطوُّر التكنولوجي المتنوع في أساليبه التي يغلب عليها مفهوم الشيطنة، والتي تُمارَس بما ينافي تعاليم الشرع الحنيف، من خلال البرامج المدروسة والممنهجة المخطط لها منذ عقود بعيدة، تتوالى الهجمات الشرسة على الأمة الإسلامية من أعدائها المتربصين، سواء بطريقة مباشرة أم غير مباشرة، خاصّة على ثوابت الدّين وأساسيَّاته، بشتّى الوسائل المتاحة، وذلك بعد أن كان هجومهم مركَّزًا على المسلمين كعناصر بشرية بشكلٍ أكبر في العصور الماضية، من خلال حروبهم

العسكريّة، وألاعيبهم ومؤامراتهم السياسيّة الخفيّة، التي كانت في مجملها لبثّ الفتن وإضعاف الجبهة الداخلية، الأمر الذي ينصب في نهاية المطاف في الحيّز الحربي العسكري.

أما اليوم، فقد تركَّز الهجومُ اليوم بشكلٍ أكبر على الإسلام كدين وعقيدة، ومنهج حياة، ومجتمعات تعيش في ظله، لا سيما في العقود الأخيرة، بعد عجز الدول الكبيرة -في الوقت الحالي- عن غزو البلاد الإسلامية عسكريًّا بالشكل الذي كانت تتم به الاجتياحات الكبرى في التاريخ، في مُحاولة لقلْب المفاهيم، وتشويه معانيها لدى عامّة المسلمين، بطرحهم أفكارًا وعقائد جديدة، كالدعوة إلى حريّة الاعتقاد المنافية لأصل الإسلام، أو حريّة الاجتهاد لأي فرد من أفراد الأمة بعيدا عن الأصول المتبعة والتدرج العلمي للوصول إلى مرتبة الفتوى، وكتزوير التاريخ، ودسّ المعتقدات الغريبة عن الإسلام، وغمسِ النّاس بالشّهوات بحجّة التمدّن والتحضّر، والتّقليل من أهميّة النقاب ثم الحجاب، وصولًا إلى زعم أنه عادات وتقاليد وليس بفرض، إلى غير ذلك، والهدف واحد: إضعاف الإسلام في قلوب أهله.

وقد استطاعوا -مع كل الأسف- تحقيق جزء لا يستهان به من تلك المآرب، وكانت اليد الطولى في ذلك راجعة -بعد غفلة كثير من المسلمين عن حقيقة نياتهم- للماكينات الإعلامية الضخمة، المدعومة بميزانيات مفتوحة وأرقام فلكية، وعن طريق

تصدير دعاة باسم المشيخة والعالميّة و"نصرة الإسلام والمسلمين"، يدسون السم في الدسم، من خلال فتاوى شاذة، ومخالفات صريحة لقواعد الدين، وأفكار تسهل على دعاة الانفلات عملهم، لأن غير المتعلم المميِّز قد يظن أن الإسلام دين تطرف أو دين مخالف للعقل أو متناقض الأدلة. وما زاد الطين بلة هو ظهور تنظيمات جديدة بأفكار متطرفة تدعو الشباب في السر والعلن للانضمام إليها، فترى المنتسبين إليها بين شاب منخدع يرى فيها ملجأ من الانحلال السائد في المجتمع، وآخر خارج من السجن، كان انضمامه ثمنا لحريته بعد إعفاء اللحية والتزام الزي الشرعي، ولك أن تتخيل ما يحصل بعد ذلك من آثار التطرف على الدول والمجتمعات.

إن الانقضاض على الأمة الإسلامية وانتهاك مقدّساتها وتفتيت وحدة أراضيها وشرذمة بنيها وتشريدهم وتقتيلهم، كان دومًا هدفًا رئيسا للغزو الاستعماري الغاشم لبلادنا من قبل القوى الحاقدة على الإسلام والمسلمين منذ البعثة المحمدية، فالغاية من الهجمات الاستعمارية محاربة الإسلام ومقاتلة أتباعه، وهذا أمر صار جليًّا لا يُنكره إلا من فقد نور البصيرة.

إننا ننظر إلى الزوابع العظيمة والأعاصير الشدّيدة التي أصابت كمًّا هائلًا وعددًا كبيرا من أتباع هذا الدين الإسلامي المنير، فلا تكاد توجد بقعة ولا رقعة في الأرض إلا وقد أصيبت بطرف من تلك المقاتل المدّمرة والموجات السّوداء الكاحلة الظالمة،

صرنا –كأمة إسلامية– في الوسط وقد أحاط بنا الأعداء من كل صوب، كاليتامى الذين لا كافل لهم، ينهش منا كل مفترس جشع معتد أثيم.

إن أهل المذهب الحق –وهو مذهب أهل السنّة والجماعة– بين فريقين، فريق أراد الدّنيا ولا يلتفت إلى غيرها وفريق يعمل على هدم الدّين من أساسه مع سبق تعمّد وإصرار وتخطيط سواء من الداخل أم من الخارج، وكلاهما خطر على الإسلام وأهله مع كون الثّاني بلا شكّ وريب أشدّ وأخبث، فالطعنة من الظهر ليست كالطعنة من أمام.

والسؤال الذي أطرحه وأدعو كلّ مسلم أن يسأله لنفسه وأن يتفكّر فيه تفكيرًا عميقًا، وهو هل نحن مشمولون بالحديث الشريف الذي ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (**الْمُتَمَسِّكُ بِسُنَّتِي عِنْدَ فَسَادِ أُمَّتِي لَهُ أَجْرُ شَهِيدٍ**)[1]، وهل نحن ممن ورد ذكرهم في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: (**مَنْ كَانَتْ نِيَّتُهُ طَلَبَ الْآخِرَةِ جَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ**)[2]، أم ممن ذكرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: (**وَمَنْ كَانَتْ نِيَّتُهُ طَلَبَ الدُّنْيَا جَعَلَ اللَّهُ الْفَقْرَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَشَتَّتَ عَلَيْهِ أَمْرَهُ، وَلَا يَأْتِيهِ مِنْهَا إِلَّا مَا**

[1] «المعجم الأوسط للطبراني» (5/ 315).

[2] «الزهد لابن أبي الدنيا» (ص154).

كُتِبَ لَهُ)[3]، أو ممن ورد ذكرهم في الحديث: **(إِنَّ اللهَ يُبْغِضُ كُلَّ جَعْظَرِيٍّ جَوَّاظٍ سَخَّابٍ فِي الأَسْوَاقِ، جِيفَةٍ بِاللَّيْلِ، حِمَارٍ بِالنَّهَارِ، عَالِمٍ بِأَمْرِ الدُّنْيَا، جَاهِلٍ بِأَمْرِ الآخِرَةِ)**[4]؟

فتحديد الهدف والوجهة والخط الذي ينبغي أن يسير عليه المسلم من مهمّات الأمور التي ينبغي أن يُعمل عليها، فالسّير في طريق مُظلم غالبًا ما يُؤدي إلى نتائج سلبية لا تُحمد عُقباها، وهو كجامع الحطب ليلًا فلا يدري أيحمل بين الحطب سُمًّا فيقتله أو ثعابين فتصرعه؟

إن المشاكل الاجتماعية تزيد يوما بعد يوم، ويُلاحظ أن رقعة الفساد تتّسع أكثر وتمشي بشكل متوازٍ مع اتّساع دائرة التطور والتقدم التكنولوجي الذي يشهده العالم اليوم لا سيّما في مجتمعاتنا الإسلامية. لم تعد المشاكل الاجتماعية تنحصر في نطاقها الضيق كما كانت من قبل، فما يحدث في بلدة صغيرة في أقصى الأرض يُعرف خبره في سائر بلاد الدنيا خلال ساعات وربما دقائق معدودة ويصير حديث الساعة وتشتعل منصات التواصل بالحديث عنه، وهو الأمر الذي لم يكن ليحدث لولا التطور وانتشار تلك المواقع والمنصات. والحقيقة المؤلمة أنّ جُلّ ما ينتشر هو الفساد أو على الأقل

---

[3] نفس المصدر.

[4] «صحيح ابن حبان» (3/ 389).

مواضيع ليس لها أيّة أهمية، وصار –بسبب تلك المواقع والقائمين عليها– سفيه القوم يظهر على أنه البطل العلم، والمغتصب على أن له دوافعه التي ينبغي –كما يزعم– أن يتقبلها المجتمع من حوله، والسارق على أنه يحمي البلد ونحو ذلك. قال أحد الإخوة: إن امرأة مسنّة حدّثته قائلة: "لولا تلك المواقع لكان أكثر الأغبياء لم يعرف بهم إلا أهلهم فقط" وقد صدقت وأصابت الحق بقولها هذا، فمنذ متى يظهر صغار القوم على أنهم كبارهم؟ وسفيههم على أنه أتقاهم؟ وأدناهم على أنه أعلاهم؟ هناك العشرات من المشاكل والمعضلات التي أدّى إهمالها إلى زيادة مجتمعاتنا تراجعًا وأفرادنا تقاعسا عن العمل نحو التقدّم.

إن الطبيب الحاذق ليس الذي يعمل فقط على تشخيص المرض قبل وصف العلاج المناسب لأن هذا هو أساس مهنته، وإنما هو الذي يكتشف العلة في بداياتها، ويرسم سبيل الشفاء التام بأقل الأضرار الجانبية، مع الأخذ بعين الاعتبار حالة المريض النفسية ووضعه الاجتماعي ونحو ذلك، فيعمل على اختيار أفضل علاج يناسب المريض وعلّته.

طلب رجل من الإمام أبي حامد الغزالي أن يؤلّف كتابا للرد على الفلاسفة فأجابه الغزالي رحمه الله بقوله: "لقد سألتني يا أخي أن أؤلف كتابا كاملًا واضحا أهاجم فيه الفلاسفة وأسفّه آراءهم، لكي تحترس من أخطائهم وضلالاتهم، ولكن ليس من

الصائب أن ترجو الوصول إلى هذه الغاية قبل معرفة أفكارهم معرفة تامّة، ودراسة مذاهبهم" فمن المهمّ إذًا، أن أذكر المشكلة وعلاجها وأن أبدأ بأهم المسائل والظواهر الخطرة المنتشرة والتي يؤثر انتشارها إلى إفساد مجتمعات بأكملها وأجيال برمّتها، ولأجل ذلك أضع بين أيديكم هذا الكتاب لعلّ القارئ يعمل به ويأخذ بالنصائح التي بين دفّاته، سائلًا المولى عزّ وجلّ أن يرزقنا حسن النيّة وحسن العمل والقبول.

المؤلف

القسم الأول
العقائد

الشرك بنوعيه الأصغر والأكبر

الأمراض المنتشرة في مجتمعاتنا كثيرة جدا يصعب حصرها، منها ما هو ظاهر كالأمراض الجسدية على الصعيد الصحي وكالمشاكل الناتجة عن الخصومات والصراعات على الصعيد الاجتماعي، ومنها ما هو خفي كالرياء، وهو الذنب العظيم الذي وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشرك الأصغر لعظمه وشدّة عقاب فاعله، فقد قال صلى الله عليه وسلم: **(تمت اتقوا الرياء، فإنه الشرك الأصغر)**[5]، وعن ابن لبيد الأنصاري أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(إن أخوفَ ما أخافُ عليكمُ الشركُ الأصغرُ)** قيلَ: وما الشركُ الأصغرُ؟ قال: **(الرياءُ، يقولُ اللهُ إذا جُزِيَ الناسُ بأعمالِهم اذهَبوا إلى الذين كنْتُم تُراءونَ في الدُّنيا فانظُروا هل تجدونَ عِندَهم جزاءً)**[6].

ومن المعلوم أن آثار الشرك الأصغر تظهر على المجتمع وتؤثر فيه سلبًا وإن كان أصله خفيًّا، فهو عمل قلبي ولكنّه مرض خطر جدًّا، إذ بانتشاره تقلّ الفضيلة وتذهب

[5] «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (1/ 113).

[6] «مسند أحمد» (39/ 39).

البركة وتُحبط الأعمال وتُسجّل السيئات، وقد خسر وخاب من طلب محمدة النّاس بأفعال ظاهرها الخير والطاعات وباطنها الكِبر والشرور والآثام.

جاء صحابي إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم سائلًا فقال: يَا رَسُولَ اللهِ، رَجُلٌ يُرِيدُ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَهُوَ يَبْتَغِي عَرَضًا مِنْ عَرَضِ الدُّنْيَا؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: (**لَا أَجْرَ لَهُ**). فَأَعْظَمَ ذَلِكَ النَّاسُ، وَقَالُوا لِلرَّجُلِ: عُدْ لِرَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَلَعَلَّكَ لَمْ تُفَهِّمْهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ رَجُلٌ يُرِيدُ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَهُوَ يَبْتَغِي عَرَضًا مِنْ عَرَضِ الدُّنْيَا؟ قَالَ: (**لَا أَجْرَ لَهُ**). فَقَالُوا لِلرَّجُلِ: عُدْ لِرَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ لَهُ الثَّالِثَةَ، فَقَالَ لَهُ: (**لَا أَجْرَ لَهُ**)[7].

فالرياء داء عضال وكبيرة من كبائر الذنوب العظام، فمن كان يرجو النجاة يوم القيامة فعليه بترك الرياء والابتعاد عنه إذ لا خلاص إلا بالإخلاص، ويُذكر عن الشافعي رضي الله عنه أنه قال: (إذا أنت خفت على عملك العجب فانظر رضا من تطلب وفي أي ثواب ترغب ومن أيّ عقاب ترهب وأي عافية تشكر وأي بلاء تذكر فإنك إذا تفكرت في واحد من هذه الخصال صغر في عينك عملك).

[7] «سنن أبي داود» (2/ 321).

فالمرائي يطلب محمدة النّاس وذلك إشباعًا لشهوته ونفسه الأمارة بالسوء، يقول الإمام الغزالي رحمه الله: (إذا عرفوا تركه الشهوات وتوقيه الشبهات وتحمّله مشاق العبادات أطلقوا ألسنتهم بالمدح والثناء وبالغوا في التقريظ والإطراء ونظروا إليه بعين التوقير والاحترام وتبركوا بمشاهدته ولقائه ورغبوا في بركة دعائه وحرصوا على اتباع رأيه وفاتحوه بالخدمة والسلام وأكرموه في المحافل غاية الإكرام وسامحوه في البيع والمعاملات وقدموه في المجالس وآثروه بالمطاعم والملابس وتصاغروا له متواضعين وانقادوا له في أغراضه موقرين فأصابت النفس في ذلك لذة هي -من- أعظم اللذات وشهوة هي أغلب الشهوات فاستحقرت فيه ترك المعاصي والهفوات واستلانت خشونة المواظبة على العبادات لإدراكها في الباطن لذة اللذات وشهوة الشهوات فهو يظن أن حياته بالله وبعبادته المرضية وإنما حياته بهذه الشهوة الخفية التي تعمى عن دركها العقول النافذة القوية ويرى أنه مخلص في طاعة الله ومجتنب لمحارم الله والنفس قد أبطنت هذه الشهوة تزيينًا للعباد وتصنّعا للخلق وفرحاً بما نالت من المنزلة والوقار وأحبطت بذلك ثواب الطاعات وأجور الأعمال وقد أثبتت اسمه في جريدة المنافقين وهو يظن أنه عند الله من المقربين) اهـ.

وآخذ من كلام الإمام الغزالي رحمه الله أن الأصل في المرائي طلب الشهرة، إذ الرّياء غالبًا يحصل بوجود طرفين، الأول المرائي وهو مُرتكب الذّنب والثاني المراءى له وهو مقصود المرائي، وإذا استشرى هذا المرض وتمكّنت حباله من القلب فاعلم أن

العلاج صعب جدًا وإن لم يكن مُستحيلًا، وأن هذا الذي وقع بهذه المكيدة الشيطانية لن يقدر بسهولة أن يخرج من تلك الهاوية، فإنها من أعظم مكايد الشيطان التي يدخل بها على العباد لا سيّما المقبلين على الآخرة بأعمالهم. يبدأ كثير منهم بطريق قويم صحيح ثم يوقعهم الشّيطان بحباله ويُحكمُ قبضته بهم من خلال تزيين أعمالهم فينسيهم الإخلاص بإظهار زينة الدنيا المزيفة، كأنه يقول له: (انظر كيف يمدحك الناس، انظر كيف يكرمونك ويعظمونك، انظر كيف يثنون عليك ويقدّمون لك الهدايا والعطايا) إلى غير ذلك من العبارات التي يُشوش بها الشيطان على قلب العبد المقبل، فإن لم يكن العبد مُقبلًا بإخلاص، عالما بأحكام الشريعة، مُجاهدًا نفسه، فَطِنًا لمكايد الشيطان، يقع في تلك المكيدة، وكم أضل الشيطانُ من العُبّاد بهذه الطريقة.

يروى عن الثوري رضي الله عنه أنه قال: (وجدت قلبي يصلح بمكة والمدينة مع قوم غرباء أصحاب في بتوت وعناء)[8] وقال الفضيل بن عياض: (إن قدرت على ألا تُعرَف فافعل) وقال الماوردي: (صَلَاح النَّفس يصلح ما عداها فكانت أحق بالتقديم

[8] «أنساب الأشراف» (11/ 313).

وأولى بالتقويم)[9]، ويذكر عن بعض الحكماء أنهم قالوا: (من لم يكن له من نَفسه واعظ لم تَنْفَعهُ المواعظ)[10].

وهذا المرض الخفي أمرٌ قد كتبه الله على كثير من العباد أسأل الله أن يطّهر قلوبنا منه، فمن ابتلي بهذا المرض فليسرع إلى علاج نفسه ولا يتركها حتى ولو كان فرحًا بما عند النّاس ومعظمًا ومعجَبا بإقبالهم عليه ومدحهم له، وليعلم أن الموت لا بُدّ منه وأنه محاسب وأنه مردود إلى رب العباد كما قال سبحانه: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾[11]، وأخبر ربُّنا سبحانه أن العبد مجموع يوم القيامة للحساب قال جل جلاله: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾[12]، وقال سبحانه: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[13]، وقال الإمام السيد أحمد الرفاعي: (كم طيّرت طقطقة النّعال حولَ الرجال من رأسٍ وكم أذهبت من دّين).

---

[9] «تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك» (ص7).

[10] نفس المصدر.

[11] [البقرة: 156].

[12] [آل عمران: 9].

[13] [القصص: 83].

والعاقل هو الذي يسعى إلى إرضاء ربّه ولو سخط عليه كلّ النّاس كما قال صلى الله عليه وسلم: (**من التمس رضَا اللهِ بسخَطِ النَّاسِ كفاه اللهُ مؤنةَ النَّاسِ ومن التمس رضَا النَّاسِ بسخَطِ اللهِ وكَله اللهُ إلى النَّاسِ**)، وقد ذكر السيوطي عن الشّهاب المراغي أنه قال: "السعيد من الأنام من عوّد نفسه الزهد في هذا الحطام، ولجمها بلجام الصمت والصيام" فالأصل في المسلم أن يكون عمله الصالح خالصًا لوجه الله تعالى فلا يُشرك بنيته مع الله أحد، ولا يجوز للمسلم أن يرتكب المعاصي لأي سبب من الأسباب، ويجب عليه إن وقع بمعصية أن يتوب منها فورًا، والرياء مزلقٌ خطير من مزالق الشيطان، ومن كان مُرائيًا فليعلم أنه مرتكب لذنب كبير شبّهه الرسول صلى الله عليه وسلم بالشرك كما مرّ بقوله: (**اتقوا الرياء فإنه الشرك الأصغر**)، وليس هو الشرك المخرج من الدّين إنما هو كفرٌ دون كفر أي ذنب كبير عظيم، فمن وقع بالرياء لم يخرج من الإسلام، لكن النبي صلى الله عليه وسلم شبّهه بذلك لعظم هذا الذّنب، عن جابر بن عبد الله أن النَّبيّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم خرج فقال (**إِيَّاكُمْ وَشِرْكَ السَّرَائِرِ**)، قَالُوا: وَمَا شِرْكُ السَّرَائِرِ؟ قَالَ: «**أَنْ يَقُومَ أَحَدُكُمْ يُزَيِّنُ صَلَاتَهُ جَاهِدًا لِيَنْظُرَ النَّاسُ إِلَيْهِ، فَذَلِكَ شِرْكُ السَّرَائِرِ**)[14]، أما الشرك الأكبر فهو الأخطر وهو الكفر المخرج من الدّين وهو أعظم من الرياء وأشدّ، لأن المرائي لمجرد رياءه لا يكون خارجًا من الملّة الإسلامية

[14] «مصنف ابن أبي شيبة» (2/ 227).

كما تقدّم آنفًا، أما من يشركُ بالله الشرك الأكبر فيخرج من الإسلام ولو كان قد عبد الله ألف سنة، فمن حصل منه شركٌ أكبر أو أيّ نوع من أنواع الكفر التي هي دون الشرك فقد حبط عمله وخسر كل حسناته ولو كانت مثل جبال الدّنيا، قال ربنا جل جلاله في القرآن العظيم: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[15] وقال سبحانه: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ﴾[16]، فمن كان مُسلمًا ثمّ حصل منه ما هو كُفر فقد انتقل من نور الإسلام إلى ظلمة الكفر ومن دائرة الحقّ إلى دائرة الباطل، وإلى هذا أشار الإمام الرافعي رحمه الله بقوله: (الرِّدَّةُ أفحش أنواع الكفْر)[17] أي من حيث أنها تُحبط كلّ الأعمال الحسنة التي كان قد فعلها قبل ردّته ومن حيث أنها تنقل قائلها من النور إلى الظلمات، وقال الإمام النووي رحمه الله: "وتحصل الردة بالقول الذي هو كفر، سواء صدر عن اعتقاد أو عناد أو استهزاء، ونقل عن المتولي أنه قال: كذا –يكفر– من اعتقد قِدم العالم، أو حدوث الصانع، أو نفى ما هو ثابت للقديم –أي لله– بالإجماع، ككونه عالما قادرا، أو أثبت ما هو منفي عنه بالإجماع،

---

[15] [البقرة: 217].

[16] [إبراهيم: 18].

[17] «العزيز شرح الوجيز = الشرح الكبير للرافعي» (11/ 97).

كالألوان، أو أثبت له الاتصال والانفصال، كان كافرا، وكذا من جحد جواز بعثة الرسل، أو أنكر نبوة نبي من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، أو كذبه، أو جحد آية من القرآن مجمعا عليها، أو زاد في القرآن كلمة واعتقد أنها منه، أو سب نبيا، أو استخف به، أو استحل محرما بالإجماع كالخمر واللّواط، أو حرّم حلالًا بالإجماع، أو نفى وجوب مجمع على وجوبه، كركعة من الصلوات الخمس، ولو قال المسلم: يا كافر بلا تأويل كفر لأنه سمّى الإسلام كُفرا، والعزم على الكفر في المستقبل كفر في الحال، وكذا التردد في أنه يكفر أم لا، فهو كفر في الحال، وكذا التعليق بأمر مستقبل، كقوله: إن هلك مالي أو ولدي تهوّدت، أو تنصّرت، قال: والرّضى بالكفر كفر، حتى لو سأله كافر يريد الإسلام أن يلقنه كلمة التوحيد، فلم يفعل، أو أشار عليه بأن لا يسلم، أو على مسلم بأن يرتد، فهو كافر" اهـ، وقال الإمام إسحاق بن راهويه: "ومما أجمعوا على تكفيره وحكموا عليه كما حكموا على الجاحد: المؤمن الذي آمن بالله تعالى ومما جاء من عنده، ثم قتل نبيا أو أعان على قتله فهو كافر، وكذلك من شتم نبيًّا". وهذا فيه إقرار ودليل أن المسلم إن صدر منه قول أو فعل أو اعتقاد كفري فإنه يُخرج من ملّة الإسلام.

والعلماء من المذاهب الأربعة فصّلوا في الردة وأحكامها وقسّموها إلى ثلاثة أقسام: قولية وفعلية واعتقادية وسيأتي بيانه في الفصل التالي إن شاء الله، كالبدر الرشيد من الحنفية وكالقاضي عياض ومحمد علّيش من المالكية، وكالنووي والأردبيلي من

الشافعية، وكابن قدامة والبّهوتي من الحنابلة، وكتبهم فيها تفاصيل كثيرة جهلها العوامّ اليوم فصار كثير منهم يتخبط بالأقوال والأفعال والاعتقادات، فتصدر من بعضهم أنواع من الكفر وهم يحسبون أنهم يُحسنون صنعا أو أنهم غير محاسبين على ما صدر منهم مع كون ذلك الذي صدر من بعضهم يكون مُخرجًا من الدّين، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم كما جاء في الحديث الشريف: **(إنَّ الرجلَ ليتكلَّمُ بالكلِمةِ من سَخَطِ اللَّهِ لا يرى بها بأسًا ليُضحكَ بها أصحابَه فيهوي بها في جهنَّمَ سبعينَ خريفًا)**، وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يَتَبَيَّنُ فِيهَا، يَزِلُّ بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ الْمَشْرِقِ)**[18]، وعن زيد بن أسلم كما ذكر الطبري: أن رجلًا من المنافقين قال لعوف بن مالك في غزوة تبوك: ما لقُرَّائنا هؤلاء أرغبُنا بطونًا وأكذبُنا ألسنةً، وأجبننا عند اللقاء؟ فقال له عوف: كذبت، ولكنك منافق! لأخبرنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذهب عوف إلى رسول الله ليخبره، فوجد القرآن قد سبقه، ونزل قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (65) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾[19]، وذكر القرطبي أن الجلاس بن سويد بن الصّامت ووديعة بن ثابت وقعوا في النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا: والله لئن كان محمد صادقًا على إخواننا

[18] «صحيح البخاري» (5/ 439).

[19] [التوبة: 65-66].

الذين هم ساداتنا وخيارنا لنحن شر من الحمير، فقال له عامر بن قيس: أجل والله إن محمدا لصادق مصدّق وإنك لشر من حمار. وأخبر عامر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم. وجاء الجلاس فحلف بالله عند منبر النبي صلى الله عليه وسلم إن عامرا لكاذب. وحلف عامر لقد قال، وقال: اللهم أنزل على نبيك الصادق شيئا، فنزل قول الله تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾[20].

فيؤخذ من هاتين الآيتين أن بعض العباد يكونون في بادئ أمرهم على الإسلام لكن قد يصدر منهم شيء يُخرجهم عن دائرة الإسلام، يقول الإمام الغزالي رحمه الله: (لا نقمة أعظم من الكفر والمعصية ولا داعي إليهما سوى عمى القلب بظلمة الجهالة)، فالجهل ليس عذرًا للوقوع بالكفر ولا يُنجي الإنسان الذي وقع بنوع من أنواع الكفر الصريح يوم القيامة أن يقول: أنا ما كنت أقصد أو ما كنت أريد الكفر، قال الإمام القَرافي رحمه الله: (لِأَنَّ الْقَاعِدَةَ الشَّرْعِيَّةَ دَلَّتْ عَلَى أَنَّ كُلَّ جَهْلٍ يُمْكِنُ الْمُكَلَّفَ دَفْعُهُ لَا يَكُونُ حُجَّةً لِلْجَاهِلِ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى بَعَثَ رُسُلَهُ إلَى خَلْقِهِ بِرَسَائِلِهِ وَأَوْجَبَ عَلَيْهِمْ كَافَّةً أَنْ يُعَلِّمُوهَا ثُمَّ يَعْمَلُوا بِهَا فَالْعِلْمُ وَالْعَمَلُ بِهَا وَاجِبَانِ فَمَنْ تَرَكَ التَّعَلُّمَ وَالْعَمَلَ وَبَقِيَ جَاهِلًا فَقَدْ عَصَى مَعْصِيَتَيْنِ لِتَرْكِهِ وَاجِبَيْنِ وَإِنْ عَلِمَ وَلَمْ يَعْمَلْ فَقَدْ عَصَى مَعْصِيَةً وَاحِدَةً بِتَرْكِ الْعَمَلِ وَمَنْ عَلِمَ وَعَمِلَ فَقَدْ نَجَا)[21]، وهذه القاعدة من أجلّ القواعد التي ينبغي

[20] [التوبة: 74].

[21] «الفروق للقرافي = أنوار البروق في أنواء الفروق» (4/ 264).

حفظها ونشرها، وقال الإمام المجتهد محمد بن جرير الطبري: (إن من المسلمين من يخرج من الإسلام من غير أن يقصد الخروج منه) اهـ، وقال الحافظ أبو عوانة الذي عمل مستخرجًا على صحيح مسلم ما نصّه: (وفيه أن من المسلمين من يخرج من الدّين من غير أن يقصد الخروج منه ومن غير أن يختار دينا على دين الإسلام) اهـ.

والنُّقول في هذا البحث كثيرة جدًا والحاصل منها أن الإنسان عليه أن يجتهد في تعلّم علم الدّين كما هو معروف عند العلماء بالطريقة القرآنية كما قال تعالى: ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾[22]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: (كونوا ربَّانيين: حلماء فقهاء، ويقال: الرّبّاني الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره)، وأن يتجنب ما يوقعه بالمحظور خاصة ما كان من الأمور المخرجة من الدّين، وليحذر الإنسان من أن يرضى لنفسه الجهل وأن يكون في ركب أهله، وليتذكر كلّ واحد منّا قولَ القاضي عياض المالكي: (اتَّبع طريق الهدى، ولا يضرُّك قلَّة السَّالكين، وإيَّاك وطرق الضَّلالة، ولا تغترَّ بكثرة الهالكين)، واحفظ لسانك فإنه يوردك المهالك إن لم تنتبه له.

يروى عن الشافعي أنه قال: [الكامل]

[22] [آل عمران: 79].

اِحفَظ لِسانَكَ أَيُّها الإِنسانُ لا يَلدَغَنَّكَ إِنَّهُ ثُعبانُ

كَم في المقابِرِ مِن قَتيلِ لِسانِهِ كانَت تَهابُ لِقاءَهُ الأَقرانُ

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه ارتقى الصفا فأخذ بلسانه فقال: يا لسان قل خيرًا تغنم، واسكت عن شرٍّ تسلم، من قبل أن تندم إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (**أكثر خطايا ابن آدم من لسانه**)[23].

وباب التوبة ما زال مفتوحًا لم يُغلق بعد، طالما الإنسان ما زال على قيد الحياة ولم تنازعه روحه، ولا أشرقت الشمس من مغربها، ولا رأى ملك الموت أمامه، فإنه قادر على التوبة مُمكّنٌ منها، فليتب هذا العبد من كلّ ذنب وقع فيه، أما الرّياء فتوبته بالنّدم والإقلاع عنه والعزم على عدم العود لمثل ذلك، وأما من وقع بنوع من أنواع الكفر فإنه لا يرجع للإسلام إلا بقول الشهادتين وهما: أشهد أنْ لا إله إلّا الله واشهد أنَّ محمدًا رسول الله.

[23] «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» (4/ 107).

أبواب الكفر وأنواعه

قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾[24]، جاء في مقاييس اللغة في باب (كَفَرَ): «هُوَ السَّتْرُ وَالتَّغْطِيَةُ، يُقَالُ لِمَنْ غَطَّى دِرْعَهُ بِثَوْبٍ: قَدْ كَفَرَ دِرْعَهُ. وَالْمُكَفِّرُ: الرَّجُلُ الْمُتَغَطِّي بِسِلَاحِهِ»، هذا مما جاء في تعريف لفظ الكفر لغة، أما اصطلاحًا فقد قال ابن بطال: "الكفر ضد الإيمان بالله ورسوله".

فالكفر نقيض الإيمان كما أن الظلام نقيض النّور، وقد ذكر العلماء أن الكفر ثلاثة أبواب وهي: التشبيه والتكذيب والتعطيل.

(1) **كفر التشبيه**: أي تشبيه الله بخلقه، كالذي يصف الله بأنه جالس أو أنّ له شكلًا أو هيئة أو يصفه بأن له مكانًا أو جهة، جاء في الفتاوى الهندية: (يكفر بإثبات المكان لله تعالى، فلو قال لا محلّ خالي من الله يكفر، ولو قال الله تعالى في

[24] [محمد: 34].

السماء، فإن قصد به المكان يكفر)[25] اهـ، وقال الإمام الشافعي رضي الله عنه: (لَا يُكَفَّرُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ، وَاسْتُثْنِيَ مِنْ ذَلِكَ: الْمُجَسِّمُ، وَمُنْكِرُ عِلْمِ الْجُزْئِيَّاتِ)[26] اهـ، وقال الإمام البيهقي رضي الله عنه: (وأما البراءة من التشبيه بإثبات أنه تعالى ليس بجوهر ولا عَرَض فلأنّ قومًا زاغوا عن الحق فوصفوا البارئ جلَّ وعزّ ببعض صفات الْمُحْدَثين [أي المخلوقين]، فمنهم من قال: إنه جوهر، ومنهم من قال إنه جسم، ومنهم من أجاز أن يكون على العرش كما يكون المِلك على سريره، وكان ذلك في وجوب اسم الكفر لقائله كالتعطيل والتشريك)[27] اهـ، وقال الإمام الغزالي رضي الله عنه: "فإن خطر بباله أنَّ الله جسم مركّب من أعضاء فهو عابد صنم، فإنَّ كلّ جسم مخلوق، وعبادةُ المخلوق كفر، وعبادة الصنم كانت كفرًا لأنه مخلوق، وكان مخلوقًا لأنه جسم، فمن عبد جسمًا فهو كافر بإجماع الأمة السلف منهم والخلف" اهـ.

(2) **كفر التكذيب**: أي تكذيب ما ورد في القرآن الكريم ولو آية أو ما جاء به الرّسول صلى الله عليه وسلم على وجه ثابت، كإنكار بعث الأجساد والأرواح معا،

[25] «الفتاوى العالمكيرية = الفتاوى الهندية» (2/ 259).

[26] «الأشباه والنظائر – السيوطي» (ص488).

[27] «شعب الإيمان» (1/ 104).

وإنكار وجوب الصّلاة والصّيام والزّكاة. وقد ذكر الإمام النووي رحمه الله كُفرَ من كذّب الشّريعة أو جحدها وقد مرّ.

قال الإمام السفاريني: (وَاعْلَمْ أَنَّهُ يَجِبُ الْجَزْمُ شَرْعًا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَبْعَثُ جَمِيعَ الْعِبَادِ وَيُعِيدُهُمْ بَعْدَ إيجَادِهِمْ بِجَمِيعِ أَجْزَائِهِمُ الْأَصْلِيَّةِ وَهِيَ الَّتِي مِنْ شَأْنِهَا الْبَقَاءُ مِنْ أَوَّلِ الْعُمُرِ إلَى آخِرِهِ وَيَسُوقُهُمْ إلَى مَحْشَرِهِمْ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ، فَإِنَّ هَذَا حَقٌّ ثَابِتٌ بِالْكِتَابِ)[28]، ثم قال في فصل آخر بعد أن ذكر بعض المسائل التي يُحكم على قائلها بتكذيب الشرع فقال: (فقد كفر بالله وكذّب بالقرآن وردّ على الله أمره) اهـ، قال القاضي عياض: (وكذلك نقطع على كفر من قال بتناسخ الأرواح وانتقالها أبد الآباد في الأشخاص، وتعذيبها أو تنعّمها فيها بحسب زكائها وخبثها) وقال رضي الله عنه: (كذلك من أنكر الجنة أو النار، أو البعث أو الحساب أو القيامة، فهو كافر بإجماع، للنص عليه، وإجماع الأمة على صحة نقله متواترا) اهـ.

(3) **كفر التعطيل**: وهو كنفي وجودِ الله تعالى وهو أشدّ الكفر.

واعلم أن الكافر نوعان: كافر أصلي وكافر مرتد، فأما الأول فهو الذي وُلد من أبوين كافرين، كأن وُلد نصرانيًا أو يهوديًا أو مجوسيًا، وأمّا الثاني فهو الذي كان مُسلمًا وحصل منه نوع من أنواع الردّة، وهي أقسام كما قسّمها العلماء من المذاهب

[28] «لوامع الأنوار البهية» (2/ 158).

الأربعة: كفر اعتقادي، وكفر فعلي، وكفر قولي، وكل قسم من أقسام الردة يدخل تحته شعب كثيرة:

(1) **الكفر الاعتقادي**: كنفي وجود الله تعالى، أو اعتقاد أن الله عاجز أو جاهل أو اعتقاد أن الله جسم أو ضوء أو روح أو أنه يتصف بصفة من صفات الخلق، أو اعتقاد أن شرب الخمر حلال أو أن السرقة حلال وهو يعلم حرمتها عند المسلمين، أو اعتقاد أن الله لم يفرض الصلوات الخمس أو صيام شهر رمضان، أو الزكاة أو الحج مع علمه لذلك.

(2) **الكفر الفعلي**: كإلقاء المصحف أو أوراق العلوم الشرعية عمدًا في القاذورات، وككتابة الآيات القرآنية بالبول وهو مُخرج من الإسلام كما يفعل بعض السّحرة، أو السجود لصنم أو لشمس، أما السجود لإنسان ففيه تفصيل عند أهل السنّة والجماعة: فإن سجد سجود عبادة فلا شك في كفره بالاتفاق، أما لو سجد على وجه التحيّة فإنه حرام في شريعة النبي محمد صلى الله عليه وسلم وليس كُفرا كما يتبين ذلك من حكم النبي صلى الله عليه وسلم على سيدنا معاذ بن جبل رضي الله عنه لما قدم من الشّام ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الكعبة فسجد له

سجود تحية فنهاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له: (لَوْ كُنْتُ آمُرُ أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ، لَأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا)[29].

(3) **الكفر القولي**: كسبّ الله تعالى أو سبّ نبي من الأنبياء أو ملك من الملائكة أو سبّ الإسلام أو القرءان أو الاستهزاء بالصلاة أو الصيام، أو الاعتراض على الله، وهذا منتشر في كثير من البلاد نسأل الله السلامة.

والقاعدة التي نصّ عليها العلماء: كلُّ اعتقاد أو فعل أو قول يدل على استخفاف بالله أو كتبه أو رسله أو ملائكته أو شعائره أو معالم دينه أو أحكامه أو وعده أو وعيده كفر فليحذر الإنسان من ذلك جهده. وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يَرَى أَنْ تَبْلُغَ حَيْثُ بَلَغَتْ، يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا**)[30]. أي مسافة سبعين عامًا في النزول وذلك منتهى قعر جهنم وهو خاصٌّ بالكفار، وقال صلى الله عليه وسلم: (**أَكْثَرُ خَطَايَا ابنِ آدَمَ فِي لِسَانِهِ**)[31].

---

[29] «مسند أحمد» (32/ 145 ط الرسالة).

[30] «مسند أحمد» (14/ 296 ط الرسالة).

[31] «المعجم الكبير للطبراني» (10/ 197).

ويحصل من بعض النّاس كلامٌ كمسبة الله أو الدّين فيقول بعضهم عند مُراجعته: "نعم صحيح أعوذ بالله، استغفر الله" وهو يظنّ أن الاستغفار ينفعه وهذا خطأ كبير في العقيدة، إذ لا ينفع الكافر أن يقول "أستغفر الله" بل يلزمه النّطق بالشّهادتين أولًا ثم إن أراد فليستغفر الله كيفما شاء بعد تشهّده، لكن قبل النطق بالشهادتين لا ينفعه الاستغفار بل يزيده إثمًا لأنه زيادةُ تكذيب للقرآن، لأن الله سبحانه يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾[32]، فالله تعالى أخبر أنه لا يغفر لمن كفر به إلا أن يدخل في الإسلام، وهذا الذي صدرت منه ردة وقال "أستغفر الله" يلزم من فعله هذا تكذيب القرءان ولو قال أنا لا أريد ذلك، ففعله هذا يلزمُ منه التكذيب، فكأنّه يقول: "يا رب إنك قد قلت في كتابك إنك لن تغفر لمن كفر بك وأنا أطلب منك أن تغفر لي وأنا على كفري دون أن أدخل في دينك بالنّطق بالشهادتين" وهذا فيه زيادة تكذيب لله كما مرّ.

وأما إبراهيم صلى الله عليه وسلم فإنه لما علم أن أباه سيموت على الكفر لم يستغفر له، أما قبل أن يعلم فطلب من الله أن يغفر له أي أن يُسلم فيغفر الله له بإسلامه، فإنه –أي إبراهيم– صلى الله عليه وسلم أخبر أباه أنه بعبادته للأصنام يكون

[32] [النساء: 48].

منقادًا للشيطان الرجيم الذي لا يحب للناس الخير، بل يريد لهم الهلاك والضلال، ولا يستطيع أن يدفع عنه عذاب الله ولا يردّ عنه عقوبته وسخطه، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾[33]. فلم يقبل ءازر نصيحة ولده نبي الله إبراهيم ولم يستجب لدعوته بل استكبر وعاند وتوعد، وهدد ابنه إبراهيم بالشر والرجم والقتل، وقال له ما أخبرنا الله تعالى عنه في القرءان ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَاإِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾[34]، فعندها قال له إبراهيم ما حكاه الله عنه: ﴿قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾[35]، أي سلام عليك لا يصلك مني مكروه ولا ينالك مني أذى، وزاده بأن دعا له بالخير، أي سأطلب من الله أن يغفر لك كفرك بالدخول في الإسلام، وحينها لم يكن إبراهيم صلى الله عليه وسلم يعلم بأن والده قد خُتم له بالكفر، وليس معناه أني أطلب لك باللفظ كما يستغفر المسلم للمسلم بقوله: الله يغفر لك أو استغفر الله لك، ومعنى قوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾، أي لطيفًا يعني في أن هداني لعبادته والإخلاص له، ولهذا قال ما حكاه الله عنه في كتابه العزيز: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ

[33] [فاطر: 6].

[34] [مريم: 46].

[35] [مريم: 47].

مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾[36]، وقد استغفر إبراهيم لأبيه ءازر على المعنى الذي ذكرته سابقًا، فلما تبين له أنه سيبقى عدوًّا لله وأنه قد ختم على قلبه تبرّأ منه كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾[37]، أي لما علم أنه لا يسلم بل يموت على الكفر تبرّأ منه.

فيتضح من هذا أنّ من كفر لا يرجع إلى الإسلام إلا بالنطق بالشهادتين بعد رجوعه عن الكفر، فلا تنفعه الشهادتان ما دام على كفره لم يرجع عنه، كشارب الخمر إن قال: "إني تبت إلى الله" وهو ما زال يشرب الخمر فإن توبته لا تُقبل، لأن من شروط التوبة الإقلاع عن الذنب.

لذلك لا بدّ أن يفكر العاقل في كلامه قبل النّطق به ليرى هل هو موافق للشرع أم لا، فهناك عبارات تناقض الدين، تهلك صاحبها وتجعله خارجا عن دائرة الإسلام وهو لا يشعر وقد يظنّها مُزاحا أو لهوا، وهي في الحقيقة تكونُ مُخرجة من الإسلام، وليراجع كتب العلماء من المذاهب الأربعة من شاء يجد فيها تفاصيل كثيرة لم تُذكر هنا.

---

[36] [مريم: 48].

[37] [التوبة: 114].

وقد قال سبحانه وتعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[38]، فكلّ قول وفعل واعتقاد يصدر من الإنسان فإنه يكتب في صحائف أعماله ويُحاسب على ذلك يوم القيامة، حتى الكافر من شدّة ما يرى يوم القيامة من الأهوال ومن دقّة الحساب يقول كما أخبر ربنا في القرءان: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَاوَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[39].

[38] [ق: 18].

[39] [الكهف: 49].

محاربة التطرف البغيض

إن ما نشهده اليوم "من اقتتال وصراع فكري" ليس وليد اللّحظة ولا أمرًا مستحدَثا لم يكن من قبل، ولا أمرًا حاصلًا في البلاد الإسلامية والعربية فقط دون غيرها، بل كان موجودًا في كثير من الحضارات والحقبات التاريخية القديمة والحديثة، ففي القديم وقبل ولادة سيدنا عيسى صلى الله عليه وسلم يذكر أهل التواريخ أنه قد حصلت الكثير من الحروب التي يصعب حصرها وذكرها في هذا الكتاب، من أبرزها المعارك التي قامت بها روما ضد بلاد كثيرة بهدف استعمارها، وحرب أثينا ضد مقدونيا، وحرب القرطاجيين ضد الإغريق، وليراجع من شاء الحروب التي قادها "يوليوس قيصر" والتي سُميّت بحروب قيصر الأهلية والتي سُمي من بعدها "دكتاتور روما القديمة"، وقد أدّت هذه الحروب إلى قتل عشرات الآلاف من النّاس. واستمر الأمر إلى عصرنا هذا.

فالحروب والصراعات لم تنته ولم تتوقف يومًا ما، وما زالت الدول القوية تستهدف الأضعف منها، تقتل شعبها وتسرق ثرواتها وتنهب خيراتها، وكلّ هذا القتل الذي يُمارسه هؤلاء لم يكن يومًا لأجل العدل والحق بل هو لأجل الحفاظ على القوّة والمنصب والسلطة المالية والحكمية وتوسيع مجالها.

أما التطرّف البغيض المتستّر بعباءة الإسلام في عصرنا الحالي الذي تمارسه الجماعات المتطرفة البغيضة، التي اتخذت من دين نبي الله محمد صلى الله عليه وسلم ذريعة وعباءة للوصول لذروة الحكم وتنفيذ ما قررته المحافل الدولية، فإن الإسلام منه بريء، فهؤلاء الذين يمارسون هذا التطرّف المذموم حرّفوا دين الله وبدّلوا أحكامه بُغية تنفيذ مشاريعهم الخبيثة، فكفرّوا المسلمين بغير حقّ وحملوهم على حد السيف ظُلما وعُدوانا، فكانت رقاب المؤمنين تحت سيوفهم بلا رحمة ولا شفقة، فأباحوا الدماء وأراقوها، وقتلوا أهل الإسلام، وكلّ من لم يتبع منهجهم فهو عندهم كافر حلال الدم، وكل هذا يصحبه سكوت كثير من الدول والأجهزة في الوقت الذي ينبغي أن تسرع تلك الدول والقائمون على أمنها وحمايتها -كما يدّعون- لوضع كافة الخطط التي تضع حدًّا لتلك الأفكار وتُوقف أصحابها عن التوسّع، هذا إن سلّمنا جدلًا بأنه لا علاقة لكثير من الدّول بتلك الجماعات التكفيرية.

لقد دخل التطرف البغيض كثيرا من البيوت وسيطر على عقول شبابها، حتى تحول الكثيرون من الشباب إلى مشاريع تفجيرية تخريبية تكفيرية شمولية خطرة، وذلك راجع بشكل رئيسي إلى عدم تحمّل كلّ امرئ مسؤوليته من الأهل إلى إمام المسجد مرورًا بالمسؤولين عن البلاد وأمنها، كلٌّ من هؤلاء مُقصّر، ولو أنهم ما قصّروا وعملوا ما يجب عليهم من أمر بالمعروف ونهي عن المنكر وتعليم للأصول الإسلامية الصحيحة ما وصلنا إلى حالنا الذي نحن عليه اليوم. إنّ التطرف البغيض يُخرّب المجتمعات الآمنة

والمحافظة ويفكّك الأسر المتماسكة، وكُلّما استمرّ السّكوت عن هذا اتّسعت رُقعةُ التكفير الشموليّ أكثر، وكانت النتائج أعظم وأكبر وأخطر.

وللتطرف البغيض أشكال كثيرة وصور متعددة، إلا أن الهدف بالنسبة للمتطرفين واحد، وهو إلغاء كل من يخالفهم بشتى الطّرق ليستلموا ذروة الحكم، معتمدين بذلك على القاعدة الخطرة التي أرساها "نيكولو مكيافيلي" والتي نص فيها على "أن الغاية تبرر الوسيلة" فمن خلال تبنّيهم لهذه الفكرة بالإضافة إلى ما اعتمدوه من أفكار شاذة مخالفة للدين الإسلامي، تمكنّوا من زعزعة استقرار البلاد من خلال ضرب المجتمعات وتفريق أفرادها ضمن خطط مدروسة قاموا بتنفيذها في أكثر البلاد فشاع بسببهم فيها الخراب والدمار.

لذلك ينبغي الإسراع والبدء فورًا من قِبَل كل المعنيين والمسؤولين لوضع العلاج الناجع لحماية المجتمعات من خطر هذه الأفكار وخطر أصحابها، إذ إنّ الفّكر ينتشر بواسطة الداعين له وينبغي أن يُرد عليه بالفكر والعلم الصحيح وبكلّ وسيلة تؤدّي إلى إيقاف هذا الغزو المتطرف، ومن نَظر وقرأ التاريخ وجد كيف كان يفعل الخلفاء والسلاطين المعتدلون، كانوا إذا علموا بصاحب بدعة نصحوه حين يُعرض عليهم أو يصلهم أمره، فإن أبى نفوه خارج البلاد، وفي بعض الحالات وبحسب حال صاحب البدعة كانوا يشدّدون عليه بحبس ونحوه، وهذا كلّه لكفّ أذاه عن أفراد المجتمع، وهذا

ما لا يحصل اليوم بل واقع الحال يخبر بخلاف هذا، فكثير من الدول وبعضها تحت الغطاء الإسلامي يُسّهلون دخول أشخاص باسم الدعوة الإسلامية غير آبهين لخلفيّاتهم الدينية العقائدية، فمنهم من هو من أهل الاعتزال والتجسيم والتشبيه، بل منهم من يدعو صراحة إلى تغيير التفاسير القرآنية المشهورة عند أهل الإسلام بحجة أنها صارت قديمة. مثل هذا النوع من الأشخاص الذين يعملون تحت مسميّات إسلامية، على الدول أن تسرع في منعهم من الدخول إليها، لا أن تُسّهل لهم التأشيرة والدخول إلى بلدهم، وينبغي أن يُضبط الإعلام بأنواعه المرئية والمسموعة والمقروئة على قدر المستطاع، بالإضافة إلى منع الجمعيات من تنظيم المحاضرات والدروس في المساجد لمثل هؤلاء، ومنع القنوات الإعلامية أن تُظهرهم على شاشاتها وقنواتها الفضائية.

لقد اختار الله لأمة الإسلام منهجًا مُعتدلًا وبيّن لها طريقها المستقيم الذي لا عوج فيه، قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[40]، وهذه الأمّة أمة الوسطية والاعتدال، ودينها وسط ولكن الكثير اختفلوا فيه بين الغالي فيه والجافي عنه، فليس كل من يدعي الإصلاح يكون مصلحًا، وإلا فالكل على الطريق القويم، فليس أحد من حيث العموم يقول إنه يدعو إلى التخريب:

[40] [الإسراء: 9].

وكلٌّ يدعي وصـــلًا بليلى وليلى لا تقرُّ لهم وِصـــالا

**

فمن يدعي الصلاح وهو معرضٌ عن القرآن وتعاليم الإسلام ليس بمُصلح بل هو مُفسد، لأن كلام الله أصدق كلام كما قال ربنا سبحانه: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾[41]، وينبغي أن يُعلم أن وسطية الإسلام وسماحته لا تؤخذ من آراء الناس وأهوائهم، ولكنها تؤخذ من النّصوص الشرعية المضبوطة، والذي ينحرف عن هذه الوسطية بغلو أو جفاء فهو غير ممثل للإسلام وأهله.

إنّ الشّريعة الإسلامية تدعو إلى الاعتدال وتحذّر من التطرف البغيض الذي يعبّر عنه بألفاظ منها الغلو والتنطّع، ومن نظر إلى هذا تبين له وبوضوح أن الإسلام يُنفّر من الغلو، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[42]، وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: **(يَا أَيُّهَا النَّاسُ! إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ،**

[41] [النساء: 122].

[42] [النحل: 90].

فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ)[43] وهذا عامٌّ في جميع أنواع الغلو في الاعتقادات والأعمال، والغلو هو مجاوزة الحد، وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال: **(هلك المتنطّعون)**، أي المتعمقون الغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم.

لقد عمل المسلمون على نشر العقيدة النقية الخالصة، وخرجت جيوشهم للفتوحات تجوب أرض المعمورة لنشرها والذبّ عنها، ولقد اصطدم الفاتحون بكثير من المعتقدات الباطلة التي كانت قد انتشرت في الديار التي دخلوها، فنشروا بين النّاس الإسلام حتى استقرّت العقيدة في الآفاق وكان لذلك الأثر الجميل، ولكن سرعان ما عاود الجهل بالانتشار ودخلت الكثير من الشوائب والإسرائيليات والعقائد الباطلة على النّاس فيما بعد حتى افترقت الأمة إلى جماعات وفرق.

فالمطلوب أن يتكاتف علماءُ المسلمين المعتدلين ويتعاونوا مع المؤسسات الدّينية الرسمية لعلاج هذه المشكلة من أساسها، وذلك بالردّ على البدع والشبه بالأدلّة العلمية، وتوقيف كل من تصدّر للتدريس والوعظ وهو ليس أهلًا لذلك. فإنه إذا روقب الوضع على السّاحة الإسلامية وُجد أن كلّ المتصدرين للدعوة والوعظ والإرشاد يدّعي محاربة التطرف وأنه بريء منه، ولكن أين هم من ينبغي أن يُحاربوا فعلًا؟ إن كان كلّ فريق

[43] «سنن ابن ماجه» (ص649).

يدّعي أن الحقّ معه وأن مخالفيه شذّوا عن جادّة الحق، فأين الحق؟ وبمن ينبغي أن يُبدأ لمحاربة التطرف؟ الحلّ عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث أرشد أمّته إلى اتباع الجمهور والجماعة خاصّة عند اشتداد الفتن والمحن، وأن نكون على طريقته الميمونة صلى الله عليه وسلم، قال الله سبحانه: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾[44]، وقال صلى الله عليه وسلم: (**سَيَكُونُ بَعْدِي هَنَاتٌ وَهَنَاتٌ**)[45]، وأخبر بعد ذلك عليه الصلاة والسلام أن الله معينٌ ومؤيّد من يتّحد ويتعاون من المسلمين، وأن قوتهم باجتماعهم لا افتراقهم، قال صلى الله عليه وسلم: (**فَإِنَّ يَدَ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ من فارق الجماعة**)[46]، ومعنى يدُ الله مع الجماعة أي عونُ الله وتأييده ونصرته معهم، والجماعةُ المرادة بالحديث هم جمهور الأمة الإسلامية، فأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بالتماسك واتباع ما عليه جمهور الأمة الإسلامية، وترك الفرقة وأكدّ عليه الصلاة والسلام بأنّها من عمل الشيطان.

والخلاصة يجب أن تُحارب البدع التي دخلت على الإسلام فشوهت صورته السامية في أذهان الكثير، فقد أمر الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأكدّ على

---

[44] [النساء: 83].

[45] «سنن النسائي» (7/ 92).

[46] «الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان» (10/ 438).

ذلك الرسول صلى الله عليه وسلم بكثير من المواضع، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس فقط بإصدار الكتب والمجلات العلمية مع أهمية هذا الأمر والحاجة الملّحة إليه، ولكن ينبغي أن تراقب المساجد من قبل هيئات الإفتاء ووزارات الأوقاف وأن يُعمل على استبدال الأئمة الذين لا يتّبعون المنهج الوسطي المعتدل بأئمة ينتسبون للمدرسة السنّية الصّافية، وسيأتي الكلام بإذن الله عن بعض الفرق المنحرفة التي ينبغي أن تكون في أوائل قائمة من يُرد عليهم من الجماعات التي تُعلّم التطرّف والإرهاب البغيض وتنشره.

الجماعات التكفيرية الشمولية

إن المطَّلع على تاريخ الفرق المنحرفة والمتبصِّر فيه يجد أنه تاريخ أسود مليء بالدماء والدمار، لقد نشأت تلك الفرق على العداوة لكلّ من لم يدخل في دعوتها وشنّوا الحروب على من يخالفهم بشتى الطرق التي تتاح لهم. وقد اتّبعوا منهجًا مُنحرفًا عمّا كان عليه رسولنا صلى الله عليه وسلم والصحابة في المعتقد والأعمال، بل لهم أسسهم الخاصّة بهم وقواعدهم الشاذّة عن الأمة الإسلامية، يحكمون من خلالها على الناس بالكفر والضلال مع كون هؤلاء الأبرياء على الإسلام لم يخرجوا منه، لكن لأجل هوى نفوسهم وميول قلوبهم الفاسدة ما تركوا على وجه الأرض مسلمًا إلا ورموه بالكفر، وإذا دققت النّظر في أصول تلك الفرق تجد أن الأصل عندهم يدور حول قضية التكفير الشمولي التي من خلالها اعتبروا جميع من لم يوافقهم في دعوتهم كافرًا حلالَ الدم، الأمر الذي دفعهم إلى قتل الناس واستحلال أموالهم وسبي نسائهم بدعوى أنّ كلّ الناس سواهم على الشرك لا يعرفون الإسلام، فكفّروا بذلك جميع الأمة الإسلامية واستباحوا دماءهم.

يتستّرون باسم الدين الإسلامي الحنيف المبني على السماحة والاعتدال والوسطية، ليغطّوا على ما يفعلونه من رذائل وقبائح وجرائم وتكفير شمولي، وليُضلوا الناس عن سبيل الحق باسم السلف تارة وباسم اتباع القرآن والسنّة أو التجديد تارة أخرى، والحقُّ أنهم منتسبون إلى الإسلام زورًا وبهتانًا والإسلام منهم براء، والحق أنهم فئة تدعو إلى النار كما سمّاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، والله تعالى يدعو إلى دار السلام، قال سبحانه: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾[47].

لقد انحرفت الكثير من الفرق عن الإسلام وهذا مصداق قوله صلى الله عليه وسلم: (**افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسبْعِينَ فِرْقَةً، فَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَافْتَرَقَتِ النَّصَارَى عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، فَإِحْدَى وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ! لَتَفْتَرِقَنَّ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، فَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ وَثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ**"، **قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ! مَنْ هُمْ؟ قَالَ: الْجَمَاعَةُ**)[48]، وقد فصّل علماء الإسلام في بيان هذه الفرق ومعتقداتها كأبي منصور الماتريدي في "الفرق بين الفرق" والشّهرستاني في "الملل والنحل" وغيرهم، والحمد لله

[47] [يونس: 25].

[48] «سنن ابن ماجه» (ص839).

أكثر تلك الفرق قد انقرضت اليوم ولم يعد لها ذكرٌ إلا أن الأمّة الإسلامية قد ابتليت في هذا العصر بثلاثة فرق تُعتبر الأخطر على وجه المعمورة وهم: الوهابية، حزب الإخوان وحزب التحرير، وتعتبر هذه الثلاثة الأخطر على المسلمين كونهم يتحدثون باسم الإسلام، ولا أنفي أن هناك فرقا وتيارات أخرى خطرة لكنها ليست كهذه الفرق الثلاثة كونهم لا يتحدثون باسم الإسلام فهم من هذه الحيثية أقلّ خطرًا من تلك الفرق الثلاثة التي ذكرت مثل: التيارات العلمانية والموجات الإلحادية.

ولا بد من معرفة أنّ المواجهة الأساس تكون بكشف أستار تلك الفرق وتجريدهم من أقنعتهم وإقامة الحجج عليهم، وبيان بطلان ما يذهبون إليه وفساد ممارساتهم المستندة إلى أفكارهم السوداء، وذلك باستخدام كلّ وسيلة متاحة من منابر الجمعة وكراسي الوعظ ووسائل التواصل وشبكات الإعلام وما يتفرّع عنها، فكثير من العوامّ اليوم ينخدعون بهم لمجرد رؤية كثرة أتباعهم وصورهم وشهرتهم على شبكات التواصل كونهم لهم الباع في هذه المواقع، وأكثر العوامّ ليس لهم التمييز العلمي والميزان الشرعي الذي يُفرَّق به بين الحق والباطل.

أولا: الوهابية

هي فرقة تُنسب لمؤسسها محمد ابن عبد الوهاب الذي تُوفي سنة 240هـ، وهي فرقة مستحدثة في الإسلام لم تأخذ أصولها من السلف الصالح كما تدعي، إنما اقتصرت على استخدام اسم "السلف الصالح" فقط دون منهجه وذلك بهدف التمويه المحض على النّاس، وقد خالفت الأمة في العقيدة والأحكام وبدّعت بل وكفّرت من يعاديها ووصفتهم بأهل البدع حتى تجرّأ بعضهم على وصف كبار الأمة بذلك، وقد وصف أحد كبار دعاتهم وهو عثمان الخميس الكويتي سيدَنا صلاح الدين الأيوبي بأنه كان على طريقة أهل البدع في الاعتقاد وأنه كان جاهلًا بالدّين، ووصف ابنُ عثيمين وهو من كبارهم أيضًا الإمام النوويَ وابن حجر العسقلانيَ بأنهما ليسا من أهل السنة بالاعتقاد! وهذا تبديع منهم للأمة الإسلامية لأن الأمة الإسلامية على العقيدة التي كان عليها النووي وابن حجر، كما أنهم تجرأوا على الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه ووصفوه بأنه جيفة وأنه كان داعية للضلال والكفر. وهذه الفرقة لا ترى علما لأحد طالما أنه على غير منهجها حتى ولو كان الشافعي رضي الله عنه، وقد صرّح أحد دعاتهم بأنه لو خالف الشافعي نصّ "ابن تيمية" والذي هو أحد كبار مراجعهم، بأنه يضرب بكلام الشافعي عرض الحائط، فهم يعتبرون أن الحق هو ما جاء به مشايخهم وكبارهم خاصة ما جاء به "ابن تيمية" و"محمد بن عبد الوهاب" ويعتبرون أن تفاسير

هؤلاء هي التي ينبغي لهم أن يأخذوا بها وأما كلّ قول يخالف مشايخهم فيعتبرونه ضلالا لا يجوز الأخذ به حتى ولو كانت المسئلة متفقًا عليها بالإجماع.

وليعلم أن محمد بن عبد الوهاب رجل لم يشهدْ له أحد من علماء عصره بالعلم بل إن أخاه سليمان بن عبد الوهاب رد عليه بكتابين لمخالفته ما كان عليه المسلمون من أهل بلده من الحنابلة وغيرهم، الكتاب الأول يسمى "الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية" والآخر يسمى "فصل الخطاب في الرد على محمد بن عبد الوهاب" وقد نفى أتباعه الكتابين ونفيهم لهما لا محل له من التصديق وسيأتي الكلام على إثباتهما، وكذلك الإمام العالم مفتي مكة للحنابلة محمد بن حميد لم يذكر محمد بن عبد الوهاب في عداد أهل العلم من الحنابلة، وقد ذكر نحو ثمانمائة عالمٍ وعالمةٍ في المذهب الحنبلي بل ذكر أباه الشيخ عبد الوهاب وأثنى عليه بالعلم وذكر أن أباه كان غضبان عليه – أي على ولده محمد– وحذّر منه وكان يقول "يا ما ترون من محمدٍ — أي من الشر– " وكان الشيخ محمد بن حميد توفي بعد محمد بن عبد الوهاب بنحو ثمانين سنةً وهو على علم بمحمد بن عبد الوهاب وفكره.

وقد أحدث محمد بن عبد الوهاب دينًا جديدًا علّمه لأتباعه، وأصل هذا الدّين: تشبيه الله بخلقه واعتقاد أن الله جسم قاعد على العرش وهذا تشبيه لله بخلقه لأن القعود من صفات البشر وقد خالف بذلك قول الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ

الْبَصِيرُ ﴾[49]، وقد اتفق السلف الصالح على أن من وصف الله بصفةٍ من صفات البشر فقد كفر كما قال الإمام المحدث السلفي الطحاوي في عقيدته المشهورة ما نصه: (**ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر**).

ومن عقيدة هذه الجماعة الوهابية تكفير من يقول: "يا محمد"، وتكفير من يزور قبور الأنبياء والأولياء للتبرك، وتكفير من يتمسح بالقبر للتبرك، وتكفير من يعلق على صدره حرزا فيه قرءان وذكر الله ويجعلون ذلك كعبادة الصنم والوثن، وقد خالفوا بذلك ما كان عليه الصحابة والسلف الصالح، لأنه قد ثبت جواز قول "**يا محمد**" عن الصحابة ومن بعدهم من السلف الصالح ومن بعدهم في كل العصور التي مضت على المسلمين، وهذا ما فعله الصحابة رضي الله عنهم في معركة اليمامة في قتال مسيلمة الكذّاب، وكما فعل عبد الله بن عمر بن الخطّاب رضي الله عنهما، وقد نص الإمام أحمد بن حنبل وهم ينتسبون إليه –كذبًا وزورًا– على جواز مس قبر النبي ومسّ منبره وتقبيلهما إن كان ذلك تقربًا إلى الله عزّ وجلّ كما ذكر عنه ابنه ذلك.

وقد شذوا عن الأمّة بتكفير من يستغيث بالرّسول ويتوسل به بعد موته، فقالوا التوسل بغير الحي الحاضر كفر، وعملا بهذه القاعدة التي وضعوها يستحلّون تكفير من يخالفهم في هذا ويستحلون قتله، فإن زعيمهم محمد بن عبد الوهاب قال: "من دخل

[49] [الشورى: 11].

في دعوتنا فله ما لنا وعليه ما علينا ومن لم يدخل فهو كافر مباح الدم". وقد نقل ذلك عنهُ مفتي مكة أحمدُ بن زيني دحلان.

وجاء في ترجمة محمد ابن عبد الوهاب لابن حميد الحنبلي: "عبد الوهاب بن سليمان التميميّ النجديّ وهو والد محمد صاحب الدعوة التي انتشر شررها في الآفاق، لكن بينهما تباين مع أن محمدًا لم يتظاهر بالدعوة إلا بعد موت والده، وأخبرني بعض من لقيته عن بعض أهل العلم ممن عاصر الشيخ عبد الوهاب هذا أنه كان غضبان على ولده محمد لكونه لم يرضَ أن يشتغل بالفقه كأسلافه وأهل جهته ويتفرس فيه أنه يحدث منه أمر، فكان يقول للناس: يا ما ترون من محمد من الشر، فقدّر الله أن صار ما صار. وكذلك ابنه سليمان أخو محمد كان منافيًا له في دعوته، وردّ عليه ردًّا جيدًا بالآيات والآثار لكون المردود عليه –يعني محمد بن عبد الوهاب– لا يقبل سواهما، ولا يلتفت إلى كلام عالم سواء كان متقدمًا أو متأخرًا كائنًا من كان، غير الشيخ تقي الدين ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، فإنه يرى كلامهما نصًّا لا يقبل التأويل.. وسمى الشيخ سليمان ردَّه على أخيه «**فصل الخطاب في الرد على محمد بن عبد الوهاب**" اهـ.

وقال مفتي الشافعية ورئيس المدرسين في مكة أيام السلطان عبد الحميد الشيخ أحمد بن زيني دحلان: "فكان (مُحمد بن عبد الوهاب) يقول لهم: إنما أدعوكم إلى التوحيد وترك الشرك بالله، وجميع ما هو تحت السبع الطباق مشرك على الإطلاق –

إلا من كان على طريقته- ومن قتَل مشركًا فله الجنة" اهـ. وهذا تكفير صريح من محمد بن عبد الوهاب لكل المسلمين على وجه الأرض.

وممن صرّح بهذه العقيدة التكفيرية الشمولية المتطرفة من كتَّاب ومؤلفي هذه الفرقة الوهابية في زمننا هذا، "علي بن محمد بن سنان" المدرس في المسجد النبوي والجامعة الوهابية المسماة "الجامعة الإسلامية"، حيث قال: أيها المسلمون لا ينفع إسلامكم إلا إذا أعلنتم الحرب العشواء على هذه الطرق –يقصد الصوفية وأهل السنّة والجماعة– وقضيتم عليها، حاربوها قبل أن تحاربوا اليهود" اهـ. فجعل أهلَ الإسلام مشركين كفارًا لا ينفعهم دينُهم إلا إذا تصدّوا للصوفية وأعلنوا الحرب عليهم، ولا يخفى على عاقل ما لأهل التصوف الصحيح من فضائل ومكارم يضيق المقام عن ذكرها الآن.

وقد تمادت الوهابية في التكفير الشمولي حتى كفّرت من يقلّد المذاهب ووصفتهم بالشرك كما فعل محمد صديق حسن القنوجي حيث قال: "تقليد المذاهب من الشرك" اهـ، وعلى ما يزعم ويفتري هذا المدّعي فقد كفرَ كلّ أفراد الأمة الإسلامية اليوم لأن أفراد الأمّة اليوم هم أتباع أهل المذاهب الأربعة، وهم عند الوهابية كفار. وبذلك أيضا يكون قد حكم على جماعته الوهابية بالتكفير من غير أن يشعر لأنهم يزعمون في بعض البلاد تقليد مذهب الإمام أحمد بن حنبل وينتسبون إليه وهو بريء منهم، وكذلك

انتسبوا إلى أبي حنيفة رضي الله عنه في بعض البلاد كالهند وبنغلاديش وباكستان بالوقت الذي قام بعض دعاتهم في بلاد أخرى بتكفيره، وهذا من أعظم البلايا والتخبّط.

وهذا مختصر عن هذه الفرقة وخطرها على الأمّة الإسلامية ومن أراد التوسّع في معرفة الأدلة التي تنقض كلامهم هذا فليطالعْ كتب الرد عليهم ككتاب "الرد المحكم المتين" وكتاب "دراسة مقارنة بين عقيدة الوهابية وعقيدة اليهود" وهما مطبوعان.

ثانيا: حزب الإخوان

حزب الإخوان أو كما يُسمّون أنفسهم كذبًا وزورًا "الإخوان المسلمون" من الفرق الخطرة المنتشرة التي تطعن بالإسلام والمسلمين من ظهورهم، ولا يخفى على ذي عقل سليم ومطالع بصير لتلك الحقبة التي تأسس فيها جماعة الإخوان أنهم كانوا في بداية أمرهم على الطريق المستقيم ثم انحرفوا بعد دخول المنحرفين على رأسهم من يُسمّى بشيخ الدماء "سيد قطب" الذي اشتغل في بادئ أمره بالأدب والنقد، وكان نقده يُعرف بالهجوم، والهمز واللمز، والسخرية المقذعة والهجاء، ثم سلك بعد ذلك طريقًا جديدًا حيث أخذ يكتب المقالات التي ينتقد فيها أوضاع المجتمع الذي كان يعيش فيه بطريقة لاذعة، ثم شارك في الثورة التي حصلت آنذاك ضد الأسرة المالكة في مصر، حتى تم القضاء على مَلِكها، ثم التحق بعد ذلك بجماعة الإخوان، وألقي القبض عليه بتهمة محاولة اغتيال الرئيس المصري آنذاك "جمال عبد الناصر".

فليس في سيرته ما يشير لا من قريب ولا من بعيد أنه درس العلوم الإسلامية، لا التوحيد ولا الحديث ولا التفسير ولا الفقه ولا أصول الفقه ولا غير ذلك على أحد من علماء المسلمين المعتبرين، وإنما غاية أمره اطّلاعات ذاتية الله أعلم بحقيقة مصادره فيها، بل كان فيها كتب السّحر والشعوذة والخرافة والتكفير الشمولي كتكفيره لمن حكم

بقانون وضعي ولو كان حكمًا واحدًا، بل حصل منه تكفيرٌ للحكّام المسلمين ومن كان من حواشيهم وأتباعهم، وتشبيه الخالق بالمخلوق كقوله إن الله "ريشة" وإنه "العقل المدبر".

وكان سيد قطب بعيدًا غاية البعد عن منهج أهل السنة والأثر، ولهذا جاءت تقريراته في غاية البطلان والانحراف عن حقيقة الإسلام سواء في أصول الدين أو فروعه، وعلى هذا فمن الغش الكبير للمسلمين أن يُجعلَ منه إمامًا يقتدى بهديه، ويستنّ بسنته. إنّ من لم يجعل المتقين وعلى رأسهم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ثم أصحابه وأئمة التابعين لهم بإحسان أئمة له لا يصلح أبدًا أن يكون إمامًا للمسلمين، لأن الدّين مبني على الاتباع وليس على الابتداع.

ومن أخطر عقائد هذه الفرقة "حزب الإخوان" أنهم يكفّرون من يحكم بالقوانين الوضعية ولو بحكم واحد كما مرّ، وهذا ما أخذوه من زعيمهم "سيد قطب" الذي قال: "من حكم بغير القرءان ولو في حكم واحد فقد ردّ ألوهيّة الله وادّعى الألوهية لنفسه". وهذا القول في غاية الخطورة إذ فيه تكفير لعامة المسلمين ولحكامهم. اليوم أكثر المسلمين لا يحكمون بحكم الشريعة الإسلامية بشكل كامل، ويلجأون إلى القانون الوضعي من غير تفضيله على الشريعة، أي هؤلاء الذين يحكمون بالقانون الوضعي لا

يقولون عنه إنه أفضل من الشريعة وبهذا لا يكونون قد كفروا كما حكم عليهم بذلك حزب الإخوان ولكن فسقوا بتركهم الحكم الشرعي والعمل بما يخالفه.

ومن فساد هذا الرجل أنه يشبّه الله بخلقه حيث قال: "هذه اللمسات العجيبة من الريشة المبدعة" وقال: "ترسمها الريشة المبدعة بهذا الإعجاز" ويقصد بذلك الله سبحانه، تنزه سبحانه عما يصف الجاهلون. ويسمّي سيد قطب الله بالعقل المدبر وهذا نصّ عبارته: "العقل المدبر من هذا الوجود الظاهر" ويقول: "من نظام لا بد له من عقل مدبر" ويصف الله جلّ جلاله باللّمس وتقدّس ربنا عن هذا الوصف: "ويلمسه لمسة تثير التأمل والتدبر والتأثر" اهـ، وكل هذه العبارات تشبيه لله بخلقه وتكذيب لنصوص القرءان والحديث، أما تكذيبه للقرآن كقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾[50]، وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾[51] وقوله: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[52]، وقوله: ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾[53] وآيات كثيرة، وأما الحديث فقوله صلى

[50] [الشورى: 11].

[51] [الإخلاص: 4].

[52] [النحل: 74].

[53] [مريم: 65].

الله عليه وسلم: (**لَا فِكْرَةَ فِي الرَّبِّ**)[54]، أي أن العقل لا يستطيع أن يتصور الله لأن الله لا شبيه ولا مثيل له، وقال علماء السلف الصالح: (**ومن وصف الله بصفة من صفات البشر فقد كفر**)، ومنهم الإمام الطحاوي رضي الله عنه، وقال سيدنا علي بن ابي طالب رضي الله عنه: (**التوحيد أن لا تتوهمه والعدل أن لا تتهمه**) رواه تقي الدين الحصني.

وقد قام فيصل مولوي وقد أفضى إلى ما قدّم وهو زعيم حزب الإخوان في لبنان وكانوا يطلقون عليه "الأمين العام" للجماعة، ويسمّونه "فقيه الجماعة والقاضي" بتكفير الحكام مُطلقًا كما قال في مجلة الشّهاب ما نصّه: (فإطلاق اصطلاح المجتمع الجاهلي على الحكام والتشريعات القائمة في العالم الإسلامي هو إطلاق صحيح لأن هذه الحكومات جاهلية، بل كافرة بنص القرآن الكريم) اهـ.

ولهذه الجماعة فتاوى عجيبة غريبة لم يُنزل الله بها من سلطان، وبناء على هذه النصوص والآراء قاموا بتكفير المسلمين تكفيرًا شموليا وقتلهم وذبحهم، وهذا ما رأيناه في الجزائر ومصر وليبيا وسوريا ولبنان وكثير من البلاد الإسلامية، فيجب الحذر والتحذير من هذه الفرقة المنحرفة، وإني رأيت من أحسن ما أُلّف في هذا العصر في الرد عليهم كتاب "سيد قطب وحزبه تاريخ أسود" وقد حظي هذا الكتاب بانتشار واسع في العالم

[54] «تفسير البغوي – إحياء التراث» (4/ 316).

لأهميته العظيمة وهو من جمع وتأليف لجنة من الأساتذة والمشايخ والباحثين فليراجعه من شاء.

ثالثا: حزب التحرير

من قلّة التحذير من أهل الضلال ظهرت الفرق المنحرفة عن الشريعة الإسلامية السّمحاء في هذا العصر وانتشرت الوهابية وجماعة سيد قطب والفرقة المسماة حزب التحرير كذلك، فإنهم إخوان القدرية الذين يقولون: "إن الإنسان يخلق أعماله أي يبرزها من العدم إلى الوجود وليس الله خالقها" وهذا إشراك بالله قال الله تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ﴾[55]، وزاد حزب التحرير على هذا الفساد ضلالات أخرى كتحليلهم مصافحة الرجال النساء مُطلقًا، وهو محرّم بإجماع علماء الإسلام، الأئمة الأربعة وكل المجتهدين الذين مضوا عملا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(اليد تزني وزناها اللمس)** وبقوله صلى الله عليه وسلم: **(لَأَنْ يُطْعَنَ فِي رَأْسِ أَحَدِكُمْ بِمِخْيَطٍ مِنْ حَدِيدٍ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمَسَّ امْرَأَةً لَا تَحِلُّ لَهُ)**[56] فحرّموا ذلك ومنعوه قولًا واحدًا.

وقد أسس هذه الجماعة تقي الدين بن إبراهيم النبهاني، الذي ولد بقرية "إجزم" بقضاء حيفا بفلسطين سنة 1327هـ/ 1909ر، ثم غادر بلاده بعد النكبة فاستقر ببيروت، وأنشأ عام 1952ر حزب التحرير الذي دعا لقيام دولة إسلامية التي يراها هو، وأخذ يبث دعوته وأفكاره المنحرفة متنقّلا بين الأردن وسوريا ولبنان، فانخدع به

---

[55] [فاطر: 3].

[56] «المعجم الكبير للطبراني» (20/ 211).

من لا علم لهم فتابعوه على سوء معتقده وآرائه التي شذ بها عن سائر الأمة. وقد بايع في بداية أمره حزب الإخوان ثم لم يلبث أن تركهم وتحول إلى حربهم، وقد أمضى أواخر حياته في بيروت وبها توفي، ومؤلفاته التي دوّن فيها أفكاره تدل على أنه لم يكن على منهج أهل السنة والجماعة، بل على خلافه.

ومن جملة ضلال هذه الجماعة قول زعيمهم النبهاني: "قبل النبوة والرسالة يجوز على الأنبياء ما يجوز على سائر البشر لأن العصمة هي للنبوة والرسالة" فعلى قوله تصح النّبوة لمن كان لصًّا سارقًا أو زانيًا أو شاربًا للخمر إلى غير ذلك من الرذالات التي تحصل من كثير من النّاس، وأباحوا أيضا قبلة الرجل للمرأة الأجنبية –أي التي لا تحلّ له– للتوديع ولم يقل ذلك أحد من العلماء فتركوا ما أجمع العلماء في كل العصور على تحريمه واتبعوا أهواءهم وشهواتهم.

ويدّعون أيضًا في كتبهم إلى الفوضى والإفتاء بغير علم وتحريم الحلال وتحليل الحرام تحت شعار "الاجتهاد مُيسّر لكل النّاس" فزعموا في كتابهم المسمى "التفكير" ما نصّه: "إن الاستنباط أو الاجتهاد ممكن لجميع الناس وميسر لجميع الناس ولا سيما بعد أن أصبح بين يدي الناس كتب في اللغة العربية والشرع الإسلامي" اهـ. وفتحهم باب الاجتهاد لكل النّاس فساد عظيم لا يعود على الإسلام والمسلمين إلا بالخراب من كل جوانبه، وهذا ليس منعًا أو إغلاقًا لباب الاجتهاد فإنه مفتوح إلى يوم القيامة

لكن هو لمن ضبط علومه وتيسّرت له أدواته وفتح الله عليه، وهذا نادرٌ في الأمة، خاصة في هذا العصر.

وكل هذا الذي ذكرناه مما جاءت به تلك الفرق مخالف لقواعد الدّين والأصول التي وضعها لنا السيد الرسول صلى الله عليه وسلم، ومخالف لما كان عليه السلف الصالح وخلفهم في المعتقد والأحكام، فالحل هو بالرجوع إلى تلك التعاليم وليس اتباع أهل الابتداع، الحل في نشر تعاليم الإسلام الصحيحة كما أراد الله ليس كما يريد الشيطان وحزبُه.

القسم الثاني
مشاكل اجتماعية

العنف ضد المرأة

إن المرأة المؤمنة لها مكانتها وفضلها وإسهاماتها العظيمة في الإسلام ومن المهم التحدث عن هذا الأمر لأبيّن عدّة نقاط تُخفى على الكثيرين خاصةً في هذه الأيام التي خرج علينا فيها الجُهلاء والمتعنتون وقالوا بما لم يقل صناديد قريش كأبي جهلٍ والوليد بن عتبة والعاص بن سعيد وعقبة بن أبي مُعيط وغيرهم أيام ذروة عداوتهم للنبي صلى الله عليه وسلم فيما يتعلق بهذه المسئلة، وهؤلاء المتنطعون منهم من أنقصها حقها وظلمها، ومنهم من غلا فيها بل واتّخذ قضياها سلعة يتاجر بها.

والحقيقة أنهم يريدون أن يفترسوا المرأةَ بحجة الدّفاع عنها، كالذئاب الوحشية، ولأجل ذلك كان من المهم أن أتحدث عن الأمر في محاولة لإسكات تلك الأصوات التي تعلوا بين الحين والآخر مطالبة المجتمعات الدولية أن تَسُنّ لهم القوانين التي يريدونها لتحقيق بغيتهم الشنيعة، ومهما صدعوا بشعاراتهم الرنّانة وعناوينهم الطنّانة ليخدعوا بها ضعاف العقول سيبقى أهل التمييز والفهم على علم وبصيرة بأهدافهم التي يريدون تحقيقها.

لو أن الإسلام قد حطّ من شأن المرأة وقمعها كما يتحدّث اليوم الغربيون وأعوانهم في بلاد الإسلام، لما رأينا منهنّ الفقيهات والعالمات والمفكرات والزاهدات والمفتيّات في الأزمنة التي مضت ولا الطبيبات والمهندسات والمفكرات والمعلمات في هذا الزمن، ومن يتتبّع سير جحافل العلماء والمشايخ والمحدثين الفضلاء يرى كيف أن كثيرًا من العلماء قد تلقّوا جزءا من علومهم عن فقيهات عالمات، وكان لبعض العلماء عشرات الفقيهات ممن درسوا عندهنّ وتلقوا العلم في مجالسهن، ومنهم الإمام السيوطي فقد ذُكر أنه تلقى العلم عن عالمات فقيهات بلغ عددهنّ اثنتين وأربعين شيخة، وعُرف عن الإمام الحافظ ابن عساكر العشرات من العالمات تلقّى منهنّ العلم، وقد ترجم الإمام السّخاوي سير أكثر من ألف امرأة ممن بزغ صيتهُنّ في سماء العلم والحديث، وخصصّ ابن الأثير جزء كاملًا ذكر فيه أسماء عالمات فقيهات في كتابه "أسد الغابة"، فلو كان الإسلام يقمع المرأة كما يكذب الغربيون لكان في قائمة المحاربين للمرأة هم العلماء الذين يتحدثون باسم الأمم، ولكنّ واقع الحال يُكذّبهم ويفضح ألاعيبهم.

إن القرءان الكريم والسنة النبوية المطهّرة يحُضَّان على معاملة المرأة بعدل ورفق وعطف ورحمة، وينهيان عن ظلمها والتعدي عليها ظُلمًا وجورًا وأكل مالها بغير رضاها ونحوِ ذلك من الأمور الظاهرة في الشريعة التي لا تخفى على كل ذي بصيرة وعلم، بينما في الجاهلية كان الرجل إذا بُشِّر ببنتٍ اسودَّ وجهُهُ، ثم عمد إلى دفنها وهي حيَّة، وكان هذا فعل كثير من القبائل، ولم يجعل لها نصيبا في المواريث، إلى ما هنالك من صور

الجاهلية في هضم حقوق المرأة، إلى أن جاء سيدنا محمد عليه وعلى جميع إخوانه النبيين والمرسلين الصلاة والسلام، وأنزل الله تعالى عليه القرءان الكريم، فنشر التوحيد ومحى الشرك، وأمر بالعدل وأزال الظلم، وأمر بالإحسان وصلة الأرحام وأبطل القطيعة والجور والغصب، فعم عدله الجميع، بمن فيهم المرأة وكان لها من الحظّ الكثير، أُمّا كانت أم جدّة أم زوجة أم بنتا أم أختا أم عمة أم خالة، أرملة كانت أم يتيمة، حرة كانت أم أمة، وأمرها بالتكاليف الشرعية بما يلائم طبيعتها كما أمر الرجل بالتكاليف، فهي مأمورة مثله بالإيمان والطاعة، ولها جزاء ذلك في الآخرة، ولها حق أن تنصح وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتدعو إلى الله، ولها حق التملك، تبيع وتشتري، وترث، وتتصدق وتهب، ولا يجوز لأحد عمومًا أن يأخذ مالها بغير رضاها، ولا يجوز أن يُعتدى عليها جورًا، ولا أن تُظلم، بل ولها حق التعلم والتعليم وقيادة السيارات ضمن القواعد والقوانين الشرعية المنصوص عليها.

إن تعنيف المرأة وظلمها ممنوع شرعًا كما هو ممنوع تجاه الرجال، وهو حرام في شرعنا حتى وإن فعله البعض، شرب الخمر حرام في دين الإسلام فلماذا لا يؤسسون الجمعيات والأحزاب والتجمّعات لمنع هذا الأمر ونشر خطره؟ لماذا لا يفتحون جمعيات تحارب بيع اللحم غير المذّكى ذكاة شرعية؟ لماذا لا يؤسسون مراكز ونوادي لمحاربة الربا والقمار؟ لماذا تصدح تلك الجمعيات ليل نهار فقط بما يتعلق بالمرأة وقضاياها؟ إنّ في

الأمر ريبة، خاصة بعد أن رأى الجميع وتطلّع ونظر إلى نشاطاتهم وأعمالهم المشبوهة التي أظهرت لنا أهدافهم الخفيّة.

لا أقول إن كلّ ما تطرحه تلك الجمعيات فاسد، بل على العكس، أنا مع العمل الجماعي لنصرة حقوق المرأة ولكن أيّ حقوق؟ الحقوق التي حدّدها الشرع، أم التي بها تنادي تلك الجمعيات والمنظمات والمحافل والتي فيها مخالفة للقرآن؟ هناك فرق شاسع بين الأمرين، إن الوجهة التي أمرنا بها الشرع هي وجهة معتدلة متوسطة لا إفراط فيها ولا تفريط، هو شرع الله منزل من عنده بإحكام، فإنه سبحانه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، يعلم ما كان وما سيكون وما لا يكون إذ لو كان كيف يكون، فشرع الله وأحكامه فيه الضمانة للبشرية في كل العصور، إن الله لم يأمرنا بشيء فيه خلل أو يؤدي إلى تخريب المجتمعات، بخلاف القوانين الوضعية فإن أكثرها فيه مخالفة لشرع الله وأوامره. إن واضع القانون البشري لا بدّ أن يقع بخطأ إن لم يضع بين عينه القوانين الشرعية الإسلامية، فهذه القوانين كما هو معلوم من وضع رجال يسمّون اليوم برجال القانون والحقوق، وهؤلاء بشر ليسوا أنبياء بل وكثير منهم ليسوا مسلمين، ومن المعروف أن الطابع البشري يتأثر بالعوامل المحيطة به سلبًا وإيجابًا، فالقانون الصيني يختلف اختلافًا كبيرًا عن القانون الأمريكي، حتى فيما بين الدول الأوربية نفسها فقانون ألمانيا مختلف عن قانون فرنسا في كثير من القضايا مع أنهما يتقاسمان نفس الحدود.

فإذًا المسلمون مع تأسيس جمعيات تهتم بقضايا المرأة المحقّة ولكن ليس على حساب الشرع والدين الإسلامي.

إن تعنيف المرأة الممنوع شرعًا له عواقب وخيمة ليست على المرأة فقط، بل تؤثّر أيضا على الأسرة والمجتمع بأكمله، وذلك لما يترتّب عليه من آثار سلبية اجتماعيّة واقتصاديّة وصحية وغيرها، والعنف ضدّ المرأة لا يرتبط بثقافة، أو عرف، أو طبقة اجتماعيّة بعَينِها، بل هو ظاهرة عامة منتشرة في جميع البلاد. فالعنف ضدّ المرأة ليس منحصرًا في البلاد الإسلامية فحسب، بل هو موجود في كل البلاد حتى الأوروبية التي تدّعي أنها في صدارة التقدّم والرقي، فظلم المرأة الذي يحصل عندهم أخطر مما يحصل في بلادنا الإسلامية بكثير، لكن لماذا هذا التركيز من جانبهم على مجتماعتنا العربية والإسلامية؟ لماذا يكثرون من ذكر هذه الشعارات في ندواتهم واجتماعاتهم وعلى صفحاتهم ومواقعهم وفي المجلات والصحف؟ حتى إنهم في العقد الأخير أعلنوا عن نوع جديد من "العنف" وسموه بالعنف الجنسي، وأفهموا كثيرا من النساء –وهذا الأمر ضد الشريعة الإسلامية– أنّ لها الحق في الامتناع عن زوجها متى أرادت، وأنه بحال أراد الرجل فعل هذا الأمر فإنه يُعتبر عندهم اعتداء جنسيا! منذ متى صار هذا الحق الشرعي اعتداءً جنسيًا على المرأة؟ من وضع هذه القوانين المجحفة؟ إن القانون الذي يخالف شريعة الله هو قانون ظالم جاحف.

نعم إن المرأة لها أن تمنع زوجها من الجماع بحالات منها كونها بحالة الحيض وهذا أمر قد كتبه الله على بنات آدم، ومنها كأن كانت مريضة جدًا بحيث تتأذى منه، ومنها بحالة أن الزوج لم يُسكنها مسكنًا مستقلًا بها، إذ يلزم الرجل في الإسلام أن يُسكنها بيتا مستقلًّا سواء كان ملكا له أو بالإيجار وهذا ما تُلزم به القوانين الأوروبية.

من تتبع سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وشرعه الحنيف وجد قانونًا مُحكما وعادلا، حيثُ ألزم الشرعُ المرأةَ بطاعة زوجها في هذا الأمر إن لم يكن هناك موانع كالتي ذكرناها، ولكن لماذا يريد هؤلاء الجمعيات والمنظمات التدخل بحياة الأسرة المسلمة إلى هذا الحدّ؟ إن الهدف الذي يريدون الوصول إليه ليس إلا تفكيك العائلات تحت شِعار إعطاء حرية مزعومة للمرأة بحجة أننا صرنا في القرن الواحد والعشرين، من كان يبحث عن الراحة النفسية والجسدية والاجتماعية عليه أن يلتزم بشرع الله، أما سياساتهم وقراراتهم فهذه لا ينبغي أن تُطبق علينا كمسلمين إلا ما كان موافقا منها للشرع الحنيف. فدعوتهم إلى عدم ضرب المرأة ذلك الضرب الذي ينزل الدم أو يكسر العظم هذا مما دعانا إليه الشرع الكريم لا نخالفهم في هذا، ولا نخالفهم كذلك في منع سبّ الزوج لزوجته أو تحقيرها وهي لم تفعل له شيئًا، إن هذه الأمور ممنوعة في الإسلام كذلك، ولكنهم يتغافلون عنها ممّا يؤكد لنا أهدافهم المشؤومة.

أما بالنسبة لعمل المرأة خارج بيتها والذي يُثار حوله الجدل اليوم فلا أدري من الذي قال لهؤلاء إن الإسلام حرّمه مُطلقا! قد سمعت في حوار انتخابي على إحدى المحطات العربية امرأة تعمل في منظمة نَسَوية، فكان من ضمن أسئلتها لذاك المرشّح: "إذا وصلت لما تسعى إليه هل ستسمح للمرأة بالعمل؟ إذا وصلت لمقعدك الانتخابي هل ستحاسب المرأة إذا خرجت من البيت متوجهة إلى عملها؟" إن ما تسعى إليه تلك الجمعيات واضح، وهو إثارة العواطف لدى النّساء لا سيَّما الضعيفات، في محاولة منهم لإخراجهن من دائرة العبودية لله واتباع النّظام الاجتماعي الصحيح وإدخالهن في دوامة الفوضى والانبطاح الفكري. كان الأحسن والأفضل لهم أن يعلّموا النّاس تعاليم الإسلام الصحيحة، بهذا يكونون قد عملوا على الإصلاح وليس على التخريب من خلال طرحهم المشبوه الذي يقومون بترويجه.

إنّ الإسلام لم يُحرّم خروج المرأة للعمل سواء كانت متزوجة أم لا، إلا أنه وضع ضوابط لهذا حماية للمرأة وصيانة لها وللمجتمع، ولم يحرّم خروج المرأة للعمل إلا طائفة من المتشددين البغيضين الذين يزعمون أن الشرع جاء بهذا التحريم وكذبوا. المرأة المسلمة قبل الزواج وبعده يجوز لها الخروج لتعمل ما تشاء من العمل الحلال إلا أنّ العمل بعد الزواج يكون باتفاقها مع زوجها، ولسائل أن يسأل ليعرف الحكمة لماذا بالاتفاق والإذن؟ فأجيب أن الإسلام ألزم الرجل النفقة على زوجته وتأمين مسكن لها وطعام وشراب ولباس ونحو ذلك من الأمور التي حددها الشرع وألزمه بها، وأن الإسلام يعامل

المرأة المسلمة على أنها معززة مكرّمة في بيت زوجها كالأميرة يُحضر لها الطعام وما ينقصها من الحاجيات اللازمة الضرورية، فلم يُكلّف الإسلام المرأة هذه الأعباء، وهذا بخلاف المجتمعات الأوروبية فإنهم يشترطون على المرأة كما يشترطون على الرجل –وهذا من مبادئ ما يسمونه بالمساواة– الخروج للعمل وإلا تُقطع عنهم المساعدات التي تُقدمها الدولة، وفي البلاد الأوروبية تذهب الزوجة مع زوجها إلى السوبرماكت أو الجزّار فيدفع هو النصف ويقول لها أنت تدفعين النصف الآخر، وقد رأيت هذا مرارًا. إن هذا الأمر في الإسلام غريب، إذ الرجل هو الذي يُلزَم بالنفقة على الزوجة بمقدار حدده الشرع وليس العكس.

فالمرأة إذًا يجوز لها أن تعمل لا مانع من ذلك، وإنما الحرام هو أن تفعل الحرام أثناء عملها كما أنه يحرم على الرجل فعله، ومثال ذلك: يحرم على الرجل السرقة من مكان عمله ويحرم عليه فعل الفتنة والغيبة بين الموظفين وتحرم هذه الأمور على المرأة كذلك. أما لو كان العمل فيه ما هو مُحرم شرعا فإنه يُمنع من ذلك الطرفان. فيحرم على الرجل كما يحرم على المرأة العمل في شركة تتعامل بالربى أو تبيع الخمور أو تبيع ما هو مغصوب بغير حق شرعي ونحو ذلك من الأعمال التي حرّمها الشرع، فمن أرادت أن تعمل فلتعمل بما أحلّ الله لها ولتبتعد عن كل حرام وشبهة.

الإسلام لم يُحرّم فقط التعنيف الجسدي الذي فيه كسر عظم وإسالة دم كضربها بشيء ثقيل أو ضربها بقدمه على عظمها مما يؤدي إلى كسره بل حرّم التعنيف النفسي الجائر، فلا يجوز للرجل إن دخل بيته منزعجًا من عمله مثلًا أن يسبّ زوجته ولا حتى أولاده وهم لم يفعلوا له شيئًا وهذا يُعتبر من الظلم بل ذنب من الكبائر في الإسلام، نعم هناك رجال لا يخافون الله يفعلون ذلك ولكن ليس لأحد يقول إن الإسلام يفعل أو يأمر بهذا! بل ينبغي أن يقال: (إن رجالا مسلمين فعلوا هذا الأمر المخالف لشريعتهم) هذا هو الإنصاف الذي ينقص هؤلاء الذين يؤلمون رؤوسنا بشعاراتهم، هذا هو الإنصاف الذي ينبغي أن يتحلّوا به.

إنّ أول شيء لا تتمسّك به تلك الجمعيات هو الصدق والإنصاف، يبحثون عن أي شيء يقدرون من خلاله أن يفعلوا ما يسمى بالسبق الإعلامي ويثيرون به مشاعر الضعيفات، فعند سماعهم لمشكلة حصلت ووقعت، أوّل ما يدور في رأسهم ويخططون له هو كيف سيكون عنوان المواقع والصحف غدًا عند نشر هذا الخبر؟ لا تعرف تلك النسوة اللواتي تلحقن هذه الجمعيات أنه يُضحك عليهن ويتاجر بقضاياهن، بل على العكس ينخدعون بدعوات تلك المنظمات وشعاراتها. لقد سألتني إحدى العاملات في جمعية نسوية مرّة قائلة: لماذا رجال الدّين يحاربوننا؟ فقلت لها: لأنكن تحاربن الإسلام إلا من سلم الله منكن، قالت: لا نحارب الإسلام، بل نحن نريد نصر المرأة. قلت: إن قواعدكم وقوانينكم تخالف الإسلام. قالت: لا أبدًا بل نحن مع

الإسلام. قلت لها: أنتم تقولون كذا وكذا –وذكرت لها بعضًا من القوانين التي يعملون بها– وهذا كلّه مخالف للإسلام بدليل كذا وكذا، وصرت أذكر لها أدلة القرآن والسنة في ذلك، فسكتت، لكن ما قبلت التراجع واستمرت بعملها.

من المهم تعزيز جانب التصدّي للعنف الجاحف الممارَس ضد المرأة، ويحصل هذا بالرجوع إلى تعاليم الإسلام ونشرها بين النّاس، وإني لا أبالغ إن قلت إن أكثر المسلمين لا يعرفون تعاليم دينهم كما ينبغي، وإن كثيرا من الرجال والنساء لا يعرفون ما لهم وما عليهم، وبسبب هذا الأمر فإن حالات الطلاق تتزايد والمشاكل تتزايد وجرس الخطر يدق كل يوم وكل ساعة وحين أكثر، إن هذا الأمر الخطر ينبغي أن يُتصدى له بكل الطرق حتى تنعم الأسرة المسلمة بحياة أفضل، فيلتزم كلُّ فرد من الأسرة بالقانون الإسلامي، ونتائج هذا الالتزام تظهر بسرعة بخلاف النتائج التي تحققها تلك الجمعيات المزعومة. فمنذ عقود وهي تعمل ليل نهار وتقيم الندوات والمحاضرات واللقاءات، ولكن المشاكل تزداد والعنف يتصاعد، وسبب هذا أنّ كثيرا من النّاس يحتكم إلى قوانين تلك الجمعيّات ليس إلى قوانين الإسلام وشرع الله سبحانه.

لقد كرّم الله المرأة ورفع قدرها ومنزلتها، وأعطاها حقوقها على أكمل وأحكم وجه، ولم يعنِ الإسلام أن تكون القوامة بيد الرجل أنّ له حق في ظلمها، وإنّما جعل له ذلك ليذود عنها، ويحيطها بقوته، وينفق عليها، وليس له أن يتجاوز ذلك إلى القهر

المذموم والجحود، كما يفعل أهل بعض القرى حيث يُقدمون على أكل حقوقها ومالها ظُلمًا وجورًا وعُدوانًا بحجّة العشائرية والعادات. لقد ساوى الإسلام في كثير من الأمور بين الرجل والمرأة، فهي مساوية للرجل في أهلية الوجوب والأداء بكثير من أنواع العبادات، وقلت بكثير لأن الشرع أوجب على الرجل أشياء لو يوجبها على المرأة، ومن مظاهر رحمة الإسلام بالمرأة أن منع قتلها في الحروب بخلاف بعض الأديان الأخرى التي تبيح قتل كلّ من في ساحة الحرب سواء يقاتل أو لا، أما حمايتها من العنف النفسي ذلك بأن جعل من مظاهر تكريمها عدم خدش مشاعرها وأحاسيسها، وحفظ كرامتها، وترك رميها بالعيوب.

وفيما يلي سأذكر لكم بعض النماذج التي من خلالها تُفهم طريقة الإسلام وكيف كرّم المرأة مُختصِرا سائلا اللهَ أن يوفقني إلى إفراد ذلك في كتاب مخصص لهذا الموضوع:

تكريم القرءان للمرأة:

قال الله سبحانه وتعالى في القرءان العظيم ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾[57]، وتكريم الله لبني ءادم شمل الرجل والمرأة إذ هما من الجنس البشري.

[57] [الإسراء: 70].

أمر القرءان بالقول الليّن:

قال تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾[58]، ومن المعلوم أن الوالدين هما الأب والأم، فقد نهى الشرع عن قول الولد لأمه كلمة "أف" بقوله سبحانه: ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾[59]، فإن كانت هذه الكلمة التي تؤذي قلبهما وهي كلمة فيها أذى نفسي، فما كان من كلام أكبر منها أو فعل فيه إيذاء لهما حرام من باب أولى.

مكانة المرأة في المجتمع:

قال الله تعالى إخبارا عن إحدى بنات شعيب لما كانت تتحدث مع أبيها عن سيدنا موسى صلى الله عليه وسلم وبحضوره: ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَاأَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾[60]، وهذا فيه دليل على أن المرأة يجوز لها أن تكون في مجلس الرجال كون الخلوة قد انتفت، وأنه يجوز لها الكلام إذ صوتها ليس عورة، وأنه يجوز للمرأة أن تعطي رأيها ولو بحضور أبيها ورجال آخرين. ولو كان هذا الأمر مُحرّمًا

[58] [الإسراء: 23].

[59] [الإسراء: 23].

[60] [القصص: 26].

لمنعها والدها وهو سيدنا شعيب وقد كان نبيا وهو صلى الله عليه وسلم أعلم منا بشرع الله سبحانه.

عدم التلاعب مع النساء:

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو خير من كرّم المرأة ودافع عنها خاصة في ذلك الزمن –زمن الجاهلية– الذي بُعث به صلى الله عليه وسلم حيث كانت تُظلم ويؤكل حقّها، ويُذكر أن بعض الأشعريين حصل منه أنه صار يطلّق ويُرجع، يطلق ويُرجع فلم يُعجب ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (**مَا بَالُ أَحَدِكُمْ يَلْعَبُ بِحُدُودِ اللهِ يَقُولُ: قَدْ طَلَّقْتُ، قَدْ رَاجَعْتُ**)[61].

وصية أفضل مخلوق:

قال صلى الله عليه وسلم: (**اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ؛ فَإِنَّ المَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلَاهُ؛ فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ؛ فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ**)[62]، وهذا الحديث من أعظم الأحاديث التي تدفعنا للتفكر في الطريقة النبوية للتعامل مع المرأة والتلطف بها.

---

[61] «صحيح ابن حبان» (3/ 333).

[62] «صحيح البخاري» (4/ 349).

المرأة في الجاهلية والإسلام:

لا شكّ أن المرأة في الجاهلية كانت كسلعة يُتاجر بها ويُتحكم بها حسب ما يهوى كل فرد منهم في تلك الحقبة إلا أن الإسلام جاء وأوقف هذا النظام الفاسد، ونظّم الحقوق وحدّ حدودًا وأمر المسلمين بعدم الاقتراب منها، ومما كانت تعامل به المرأة آنذاك أنها كانت تُمنع من حقها بالإرث وكانوا يقولون في ذلك: لا يرثنا إلا من يحمل السيف، ويحمي البيضة. ولم يكن للمرأة على زوجها أي حق، وليس للطلاق عدد محدود، وليس لتعدد الزوجات عدد معين، وكانوا إذا مات الرجل، وله زوجة وأولاد من غيرها، كان عندهم الولد الأكبر أحق بزوجة أبيه من غيره، فهو يعتبرها إرثًا كبقية أموال أبيه! وقد كانت العدّة في الجاهلية حولا كاملا، وكانت المرأة تحد على زوجها شرّ حداد وأقبحه، فتلبس شر ملابسها، وتسكن شر الغرف، وتترك الطهارة، فلا تمس ماء، ولا تقلم ظفرًا، ولا تزيل شعرًا، ولا تبدو للناس في مجتمعهم، فإذا انتهى العام خرجت بأقبح منظر، وأنتن رائحة. وكان العرب في الجاهلية يُكرهون إماءهم على الزنا، ويأخذون أجورهم، حتى نزل قول الله تعالى: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[63]، وروى الإمام البخاري في صحيحه عن سيدنا

[63] [النور: 33].

عمر بن الخطاب أنه قال: (**كُنَّا فِي الْجَاهِلِيَّةِ لَا نَعُدُّ النِّسَاءَ شَيْئًا، فَلَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامُ وَذَكَرَهُنَّ اللَّهُ، رَأَيْنَا لَهُنَّ بِذَلِكَ عَلَيْنَا حَقًّا**)[64].

وأد البنات في الجاهلية والإسلام:

من مظاهر الوحشية التي كانت تمارس آنذاك وأد البنات فقد كان بعضهم إن بُشر بمولودة اسْمأز وتغيّر لون وجهه كما أخبر ربنا سبحانه في القرءان العظيم: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (58) يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾[65]، فلما كانت تولد هذه المولودة البريئة كانوا يدفنونها وهي حية حتى تموت، وقد اتّخذت عادة وما أقبحها من عادة، ولما بُعث النبي صلى الله عليه وسلم وهو الرؤوف الرحيم منع ذلك واستقبحه وحرّمه تحريمًا قاطعًا وشددّ على من يفعل ذلك، وقد نزل بذلك قرءان فقال ربنا جل جلاله في القرءان العظيم: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (8) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾[66]، وقال جل جلاله: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ

---

[64] «صحيح البخاري» (5/ 2197).

[65] [النحل: 58].

[66] [التكوير: 8-9].

مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾[67]، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (**إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ: عُقُوقَ الْأُمَّهَاتِ وَوَأْدَ الْبَنَاتِ، وَمَنَعَ وَهَاتِ. وَكَرِهَ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ**)[68].

ميراث المرأة في الإسلام:

كان الميراث في الجاهلية للذكور دون الإناث، فجاء الإسلام وجعل للمرأة نصيبًا منه، وهذا الحكم مستمر إلى أن تقوم السّاعة فهو ثابت بالقرآن والسنّة النبوية، حتى وإن كان كثير من الرجال اليوم لا يؤدّون حق المرأة كما أمر الشرع، ولكن الحكم ثابت لا تُغيره عادات الجاهلين، وهؤلاء الذين يمنعون النساء من حقهنّ لهم عذاب أليم يوم القيامة إن لم يتوبوا ويتداركوا أنفسهم ويردوا الأموال لأصحابها، قال الله تعالى: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾[69]، وهكذا كما رأيت أيها القارئ فالإسلام كرّم المرأة وحض على الإحسان إليها بكثير من النصوص الثابتة وحماها، ولو كان يتسع

[67] [الأنعام: 151].

[68] «صحيح البخاري» (2/ 848).

[69] [النساء: 7].

المجال لذكرنا أقوال الأئمة الأعلام من هذه الأمة السمحاء وفوائد كثيرة في أهمية شأن المرأة وعلوّ مكانتها وكيفية التعامل معها وتقديرها وحمايتها والحفاظ عليها.

التنمّر

يدعو الإسلام إلى الأخلاق والآداب الإسلامية الحسنة، وإلى ترك الأخلاق السيئة القبيحة، وإن جملة من الأخلاق السيئة تجتمع فيما يُسمى اليوم بالتنمّر، لما فيه من سخرية وتهكّم بالناس، وإيذاء معنوي وجسدي أحيانًا، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[70]، والآية تنهى عن الاستهزاء بالآخرين أو إهانتهم، كما تنهى الآية عن لمز الناس بأن نقول لهم ما فيه إهانة لهم، أو يُحقّرهم ويصغّرهم، وتنهى أيضا عن التنابز بالألقاب فلا يجوز مناداة الأشخاص بأسماء أو صفات سيئة يكرهون سماعها.

إن الاستهزاء بالآخرين وتحقيرهم على أساس شكلهم أو لونهم أو طبقتهم الاجتماعية له أسباب متعددة من أهمّها سوء التربية المنزلية والمجتمعية، وهذا الأمر منتشر بكثرة في البلاد الغربية، وليس من المستغرب ذلك إذ للمجتمع وثقافته تأثير كبير على

[70] [الحجرات: 11].

قيم ومبادئ الأفراد. جاء في موقع جريدة الخليج مقالٌ عن العنف في أمريكا وأحببت أن أذكره لتُعرف بعض الفروق بين المجتمعات الغربية والإسلامية، فقد ذكر الموقع تحت عنوان "العنف في أمريكا" خبرًا جاء فيه:

"المجزرة التي وقعت في مدرسة ابتدائية في جنوب ولاية تكساس الأمريكية يوم الثلاثاء الماضي، وراح ضحيتها 21 شخصاً من بينهم 18 طفلا، ليست الأولى ولن تكون الأخيرة، فقد سبقتها مجزرة أخرى في حي تقطنه أغلبية من السود في حي بوفالو بمدينة نيويورك راح ضحيتها 10 قتلى، إضافة لعشرات المجازر السابقة التي أودت بحياة مئات الأمريكيين. إذ أنهت الولايات المتحدة عام 2021 بـ 693 عملية إطلاق نار جماعي، وفقاً لأرشيف العنف المسلح، فيما شهد العام 2020 أكثر من 611 حادثاً، وشهد العام 2019 أكثر من 417 حادثاً. وفي العام 2020 فقط وقعت 19350 جريمة قتل بسلاح ناري، بزيادة تقارب 35 في المئة مقارنة بعام 2019. وكانت مجزرة مدرسة «ساندي هوك» بولاية كونيكتيكت العام 2012 هي الأعنف، حيث قتل 26 شخصاً، منهم 20 طالباً من الصف الأول". اهـ

إن هذه الأرقام مخيفة جدًا، والحمد لله لا توجد في البلاد الإسلامية والعربية هذه النسب الكبيرة أو مثل هذه الحوادث التي يُقتل فيها هذا العدد من النّاس بهذه الطريقة، وهذا راجعٌ بلا أدنى شك إلى تعاليم الإسلام الحكيمة، الذي شدّدت وأكدّت

على التعاون على البر والتقوى وترك التعاون على الإثم والعدوان، قال الله سبحانه وتعالى في القرءان العظيم: " ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[71]، ولا ريب أن التّعاون على الإحسان يطرد الشيطان ويؤلّف القلوب ويزرع المحبّة، وقد حثّ الشرعُ وأكد صلى الله عليه وسلم في مواضع كثيرة على أهمية حسن الخلق فقال صلى الله عليه وسلم: **(مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي مِيزانِ المؤمِنِ يَوْمَ الْقِيامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ، وَإِنَّ اللهَ يبْغضُ الفَاحِشَ البَذيءَ)**[72]، أي أنّ الله لا يحب ولا يرضى هذه الأخلاق السيئة ونهى عنها، وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **(الْمُسْلِمُ مَن سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِن لِسانِهِ ويَدِهِ)**، أي المسلم الكامل الذي اتبّع الشّرع اتباعًا كاملًا يسلمُ المسلمون من أذيته واعتدائه وظُلمه.

أول ما ينشأ الإنسان تكون نشأته بين أهله غالبًا وقد أكدّ الشرع على أهميّة قيام الأهل بدورهم الصحيح بتربية أبنائهم على الأخلاق الإسلامية الحسنة والمبادئ الطيّبة، والبعد عن الأخلاق السيئة، وحذّر من التقصير في ذلك، قال الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ

[71] [المائدة: 2].

[72] «جامع الأصول» (4/ 5).

غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[73]، وهذا أمر من الله عزّ وجل للمؤمنين بأن يحفظوا أنفسهم وأهلهم من نار جهنم وعذابها، وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: (**كُلُّكُمْ راعٍ وكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عن رَعِيَّتِهِ، والأمِيرُ راعٍ، والرَّجُلُ راعٍ علَى أهْلِ بَيْتِهِ، والمَرْأَةُ راعِيَةٌ علَى بَيْتِ زَوْجِها ووَلَدِهِ، فَكُلُّكُمْ راعٍ وكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عن رَعِيَّتِهِ**)، فمسؤولية الأهل كبيرة جدًا منها: توعية أبنائهم وتعليمهم خطورة التنمّر والتعدّي على الآخرين ظُلمًا، وبيان الأثر السلبي على كلا الطرفين أي المتنمِر والمتنمَر عليه، وينبغي عليهم أن يعلّموهم أن المتنمّر بفعله هذا يخالف الشرعَ الحنيف والأخلاق الإسلامية والتعاليم المحمّدية التي تدعو المسلم إلى احترام أخيه المسلم، وعدم إيذاء من هم أضعف منه أو أفقر أو أقلّ جمالًا، أو غير ذلك من الأمور التي يقوم المتنمّرون بانتقاص الآخرين بها، وعليهم أن يعلّموهم أنّ القوة التي منحنا الله إياها إنّما هي من أجل عمل الخير ومساعدة الآخرين وعبادته سبحانه، لا للتعدي على الآخرين وظلمهم، ومن المهم أن يُرشد الأهل إلى أنّ تركهم بيان هذه الأمور وإرشاد أبنائهم يترتب عليه أمورًا كثيرًا، وأنّهم محاسبون على عدم تربية أبنائهم على القيم والأخلاق الإسلامية، وعدم تعليمهم أحكام دينهم.

[73] [التحريم: 6].

فالمتنمّرُ إنسان معتدٍّ لا ينبغي للمجتمع أن يسكت له، سواء كان معتمدًا بذلك على قوّته أو ماله أو غير ذلك، لأن المتنمَّر عليه يلحقه ضررٌ كبيرٌ وأذى جسيم، سواء الضرر الجسدي أو النفسي، وقد يستمر أثر ذلك إلى أن يكبر مما يؤثّر سلبًا على حياته وقراراته. وهنا أيضًا تقع مسؤولية ومهمّة كبيرة على الأهل، فلا ينبغي لهم أن يهملوا متابعة أبنائهم بشكل مستمر، ومراقبتهم بحكمة وأن يعزّزوا شخصيتهم ويعملوا على تعديل سلوكهم دائمًا إلى الأحسن خاصة عند الحاجة وملاحظة شيء مريب في سلوكهم، ومن المهمّ إضافة إلى ذلك، تعليمهم أساليب الدفاع عن النفس مع ضوابطها الشرعية، وكيفية مواجهة المشاكل المتنوعة التي قد يواجهونها. لأن المتنمَّر عليه ضحية لسوء تربية بعض الأشخاص، ولهذا فإنه بحاجة ماسّة إلى الاعتناء به خاصة على صعيد الجانب النفسي.

إنّ مسؤولية حماية المجتمع من التنمّر هي مسؤولية مشتركة لكلّ من الأهل، المدرسة، والمسجد، وللمشايخ والخطباء دور كبير في محاربة التنمّر لا ينبغي أبدًا التغاضي عنه. فالمسلم الذكي الملتزم لا يتعرض للناس بالأذى ولا يسبّهم ولا يشتمهم، ويبتعد عن كل ما يسبب لأخيه المسلم الأذى، وكيف يلتزم المسلم إن لم يُوجّهه العلماء والمشايخ لذلك؟ وقد حذّر النبيّ من إلحاق الضرر بالآخرين حتى إنّه حذّر صلى الله عليه وسلم من أن يتعرّض الشخصُ لجاره بالأذى أو حتى أن يخطب الرجل على خطبة أخيه أو أن يبيع على بيع أخيه لما يترتب على ذلك من أذى نفسي ومشاكل اجتماعية.

وبما أن روابط النّاس ببعضهم كثيرة، وصِلاتهم متقاربة كرابطة الأبوّة والنسب والمصاهرة والصداقة والجوار، فقد أكدّ عليه الصلاة والسلام على أهميّة الحفاظ عليها وحذّر من التعدّي، فقد أوصى عليه الصلاة والسلام بكلّ ما فيه صلاح وخير لنا في أمر ديننا ودنيانا وآخرتنا، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(مَا زَالَ جِبْرِيلُ صلى الله عليه وسلم يُوصِينِي بِالْجَارِ، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ)**[74]، وفي حديث عند أحمد رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(حق المسلم على المسلم ست**، قيل: ما هي يا رسول الله؟ قال: **إذا لقيته فسلّم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله فشمّته، وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتبعه)**. وعن أبي شريح الخزاعي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره)**. وفي رواية **(فليكرم جاره)**، وعن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(المؤمنُ أخو المؤمن، فلا يحلّ للمؤمن أن يبتاع على بيع أخيه، ولا يخطُبَ على خطبة أخيه حتى يذر)**، أي حتى يترك، وقال أبو هريرة رضي الله عنه: **(نهى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن يبيع حاضرٌ لبادٍ، ولا تناجشوا، ولا يبيع الرّجلُ على بيع أخيه، ولا يخطب على خطبة أخيه، ولا تسألُ المرأةُ طلاق أختها لتكفأ ما في إنائها)**، والأحاديث في

[74] «مسند أحمد» (9/ 410).

هذا الباب كثيرة وكلها تدعو إلى فضائل الأعمال والإحسان إلى الإخوان، وعدم كسرهم والطعن بهم وإيذائهم جسديًا أو نفسيًا، وهذا كلّه هو الدواء الناجح والترياق المجرب لعلاج المشاكل الاجتماعية المنتشرة في هذا الزمن خاصّة التنمّر. لقد نظّم الشّرع أمور التعامل بين النّاس في البيع والشراء، حتّى لا يتنازع النّاس فيما بينهم، واهتم بذكر تفاصيل كثيرة يحتاجها المجتمع لا سيّما عند اشتداد الأزمات، فما من أزمة إلّا ووضع الشّرعُ لها حلًّا، وما من معضلة إلّا وتجد تفاصيل علاجها مسطرة في الشرع الحنيف.

عقوق الوالدين

إن الاهتمام بالآخرين والإحسان إليهم من القربات التي يُتقرّب بها إلى الله سبحانه، وأولى من ينبغي لك الاعتناء بهما والإحسان إليهما أهلك، وكم من شخص دخل الجنة بسبب برّه لهما وكم من شخص ختم له بسوء العمل بسبب عقوقه المشؤوم، وقد أمر الله سبحانه وتعالى بالإحسان إليهما فقال: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (23) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾[75].

أَمَرَ اللهُ سبحانه عبادَه أمرًا قاطعا جازما بأن لا يعبدوا إلا إيَّاه وأن يُخلصوا له العبادة وحده سبحانه وأن لا يُشركوا به شيئا، وجعل في نفس الآية الأمر بالإحسان إلى الوالدين مقرونا بأمره بعباده، ولفظ قضى بالآية معنا أمر وليس معناه شاء لأن الله ما شاء لكلّ العباد أن يكونوا مؤمنين، وذِكر أمر الإحسان إلى الوالدين في سياق الأمر

[75] [الإسراء: 23-24].

بالعبادة فيه تنبيه لعظم هذا الأمر وأهميّته، والإحسانُ إليهما يكون ببرّهما وإكرامهما، وفي سير الصالحين عبر كثيرة ومواعظ بليغة في بر الولدين.

عقوق الوالدين مرض منتشر بكثرة في كل المجتمعات وعلى الخصوص في مجتمعاتنا العربية والإسلامية حتى صار الكثير من الشبابّ والشابّات يعملون على إفساد غيرهم، حدثني أحد المشايخ في لبنان أن صبيًا عمره نحو العشرة سنين قال له: صديقي في المدرسة قال لي: "لا تسمع كلام أبيك، أنت تفعل ما تريد". فسبحان الله كيف صار الفساد منتشرًا لهذا الحد حتى بين الصغار، فمن المهم أن تُنشر الأحكام والمواعظ والقصص لإعادة نشر هذه الفضيلة بين الناس وفي المجتمعات.

ومما يُذكر في ذلك أدب ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله ابن عباس رضي الله عنه أنه قالَ: "لا تَنْفُضْ ثَوْبَكَ فَيُصيبَهُما الغُبارُ"، وهذا من قمة الوقار والأدب، ويروى عنه رضي الله عنه أنه قال: (ما من مسلم له أبوان فيصبح وهو محسن إليهما إلا فتح الله له بابين من الجنة)، وعن هشام بن عروة عن أبيه في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ﴾[76] قال: لا تمنعهما شيئا أراداه أو قال: أحباه. وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه قد انطبقت صخرة على ثلاثة نفر في الغار، فدعا رجل بعمله الصالح مخلصا لله تعالى، فقال: (**اللَّهُمَّ إنَّه كانَ لي وَالِدَانِ شيخَانِ كَبِيرَانِ، وَامْرَأَتِي،**

[76] [الإسراء: 23].

وَلِي صِبْيَةٌ صِغَارٌ أَرْعَى عليهم، فَإِذَا أَرَحْتُ عليهم، حَلَبْتُ، فَبَدَأْتُ بِوَالِدَيَّ، فَسَقَيْتُهُما قَبْلَ بَنِيَّ، وَأَنَّهُ نَأَى بِي ذَاتَ يَومٍ الشَّجَرُ، فَلَمْ آتِ حتَّى أَمْسَيْتُ، فَوَجَدْتُهُما قدْ نَامَا، فَحَلَبْتُ كما كُنْتُ أَحْلُبُ، فَجِئْتُ بالحِلَابِ، فَقُمْتُ عِنْدَ رُؤُوسِهِما أَكْرَهُ أَنْ أُوقِظَهُما مِن نَوْمِهِمَا، وَأَكْرَهُ أَنْ أَسْقِيَ الصِّبْيَةَ قَبْلَهُمَا، وَالصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ عِنْدَ قَدَمَيَّ، فَلَمْ يَزَلْ ذلكَ دَأْبِي وَدَأْبَهُمْ حتَّى طَلَعَ الفَجْرُ، فإنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذلكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ لَنَا منها فُرْجَةً، نَرَى منها السَّمَاءَ، فَفَرَجَ اللَّهُ منها فُرْجَةً، فَرَأَوْا منها السَّمَاءَ)، فكان برّه لأمه وأبيه سبب لانفراج الصخرة من أمامهم. وكان علي بن الحسن لا يأكل مع والديه، فقيل له في ذلك، فقال: "لأنه ربما يكون بين يدي لقمة أطيب مما يكون بين أيديهما، وهما يتمنيان ذلك"، ويُروى أن الربيع بن خثيم كان يميط الأذى عن الطريق ويقول هذا لأمي، وهذا لأبي.

وقد نهى اللهُ تعالى عن قول (**أُفٍّ**) للوالدين وهي كلمة يدُلّ على التضجّر والانزعاج، فإن كانت هذه الكلمة التي قد يراها كثير من النّاس اليوم كلا شيء، هي من المحرّمات العظام فمن باب أولى ما كان أعظم من هذه الكلمة فالعبد منهي عن كلّ ذلك، وما أكثر من يقولها لأبويه وهو يصرخ بوجههما وكأنهما من خدمِه بالوقت الذي ينبغي أن يعاملهما هو معاملة أعظم من معاملة الملوك والأمراء، ولا يجوز للإنسان أن يؤذيهما وأن يكسر قلبهما، بل هو مأمور بأن يستعمل معهما لين الأخلاق والجانب

في كل وقت وحين. وقوله سبحانه ﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾[77] أي ولا تنهاهما عن شيء أحبّاه لا معصية لله فيه، بل قال العلماء: "أطع والديك ولو غرقت ببحر من المكروه، وقل لهما قولًا ليّنا لطيفا أحسن ما تجد من القول كما يقتضيه حسن الأدب والمعاملة".

وأما قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾[78] فمعناه ألِن لهما جانبك متذلّلا لهما من فرط رحمتك إياهما وعطفك عليهما، كن لين الجانب متذللا لوالديك، وتذكر أنك بالأمس في صغرك كنت أفقر خلق الله إليهما، فمن غيرهما سهر الليالي لأجل صحتك؟ ومن تعب لأجل أن يُطعمك؟

وبرّ الأمهات أعظم ثوابا من بر الآباء لعظيم فضل الأم وما تحمّلته وقدّمته لولدها في سبيل تربيته، سأَلَ بعضُ الصحابةِ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم: **(مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: (أُمُّكَ). قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: (ثُمَّ أُمُّكَ). قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: (ثُمَّ أُمُّكَ). قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: (ثُمَّ أَبُوكَ))**[79].

---

[77] [الإسراء: 23].

[78] [الإسراء: 24].

[79] «صحيح البخاري» (5/ 2227).

لقد حضّ الإسلام الولدَ على طاعة والديه فيما لا معصية فيه قال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾[80]، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: **(إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ)**[81] ويقول عليه الصلاة والسلام: **(لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق)**، فإذا أمر الوالدُ الولدَ بشيء منكر لم يلزم الولد السمع والطاعة في ذلك بل يحرم عليه، وكذلك لو أمرته الأم بمعصية لا يجوز له أن يُطيعها، أما بالطاعات فيطيعهما طاعة حسنة، وقد جعل الله سبحانه للمسلم الذي يطيع والديه فيما لا معصية فيه أجرًا عظيما في الآخرة، بل من الناس من أكرمهم الله بأشياء في دنياهم قبل آخرتهم بسبب برّهم لأمهم كبلال الخواص رضي الله عنه الذي كان من الصالحين المشهورين قال: "كنتُ في تيهِ بني إسرائيلَ فوجدْتُ رجلا يُماشِيني فأُلْهِمْتُ أنَّهُ الخَضِرُ، قال بلال الخواص رضي الله عنه: فسأَلْتُهُ عنْ مالِكِ بنِ أَنَسٍ فقال: هوَ إمامُ الأئِمَّةِ. ثمَّ سَأَلْتُهُ عَنِ الشَّافِعِيّ فقالَ: هوَ مِنَ الأوتادِ. ثمَّ سَأَلْتُهُ عَنْ أحمدَ بنِ حَنْبَلٍ فقالَ: هوَ صدّيقٌ. ثمَّ قالَ لهُ: أسأَلُكَ بِحَقّ الحَقّ مَنْ أنتَ؟ فقالَ: أنا الخَضِر، قالَ: فَقُلْتُ لهُ ما هيَ الوسيلةُ التي رَأَيْتُكَ بِها؟ قالَ: بِرُّكَ بِأُمّك". أي الفضيلة التي جعلتك أهلًا لرؤيتي هي كونك بارًّا بأمك.

---

[80] [لقمان: 15].

[81] «مسند ابن المبارك» (ص163).

والخَضِرُ هوَ نبيٌّ على القوْلِ الرَّاجِحِ ولا زال حيًّا إلى الآن بقدرة الله تعالى كما حكى كثير من العلماء، ويحكى أن سبب توبة إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه والذي كان من أبناء الملوك، إذ كان والده ملكًا من ملوك خراسان وكان سبب زهده أنه خرج مرة إلى الصيد فسمع هاتفًا يقول له: يا إبراهيم، ما لهذا خُلِقْتَ ولا بذا أُمرتَ، فحلف ألا يعصي الله تعالى، وترك ملك أبيه فأكثر من السفر في طلب العلم والازدياد من الطاعات، قال القشيريّ: خرج إبراهيم للصيد فهتف به هاتفٌ: أَلِهَذَا خُلِقتَ؟ أَمْ بِهَذَا أُمِرتَ؟ فَنَزَلَ، وَصَادفَ رَاعِياً لأَبِيْهِ، فَأَخَذَ عَبَاءتَه، وَأَعْطَاهُ فَرَسَه، وَمَا مَعَهُ، وَدَخَلَ البَادِيَةَ، وَصَحِبَ الثَّوْرِيَّ، وَالفُضَيْلَ بنَ عِيَاضٍ، وَدَخَلَ الشَّامَ، وَكَانَ يَأْكُلُ مِنَ الحَصَادِ وَحِفْظِ البَسَاتِيْنِ، وَرَأَى فِي البَادِيَةِ رَجُلاً، عَلَّمَهُ الاسْمَ الأَعْظَمَ فَدَعَا بِهِ، فَرَأَى الخَضِرَ، وَقَالَ: إِنَّمَا عَلَّمَكَ أَخِي دَاوُدُ. هذه الحادثة وغيرها دعته إلى الإعراض عن الدنيا والإقبال على الطاعات، ومما جاء في تفصيل هذه الحادثة أيضا ما ورد في سير أعلام النبلاء على لسانه أنه قَالَ: كَانَ أَبِي مِنَ المُلُوْكِ المَيَاسِيْرِ، وَحُبِّبَ إِلَيْنَا الصَّيْدُ، فَرَكِبتُ، فَثَارَ أَرْنَبٌ أَوْ ثَعْلَبٌ، فَحرَّكتُ فَرَسِي، فَسَمِعْتُ نِدَاءً مِنْ وَرَائِي: لَيْسَ لِذَا خُلِقْتَ، وَلاَ بِذَا أُمِرْتَ. فَوَقَفتُ أَنظُرُ يَمنَةً وَيَسْرَةً، فَلَمْ أَرَ أَحَداً، ثُمَّ حَرَّكتُ فَرَسِي، فَأَسْمَعُ نِدَاءً أَجْهَرَ مِنْ ذَلِكَ: يَا إِبْرَاهِيْمُ! لَيْسَ لِذَا خُلِقتَ، وَلاَ بِذَا أُمِرتَ. فَوَقَفتُ أَنظُرُ فَلاَ أَرَى أَحَداً، فَأَسْمَعُ نِدَاءً مِنْ قَرَبُوْسِ سَرجِي بِذَاكَ، فَقُلْتُ: أُنْبِهْتُ، أُنْبِهْتُ، جَاءنِي نَذِيرٌ، وَاللهِ لاَ عَصَيتُ اللهَ بَعْدَ يَوْمِي مَا عَصَمنِي اللهُ. فَرَجَعْتُ إِلَى أَهْلِي، فَخَلَّيتُ فَرَسِي، ثُمَّ جِئْتُ

إِلَى رُعَاةٍ لأَبِي، فَأَخَذتُ جُبَّةً كِسَاءً، وَأَلقَيْتُ ثِيَابِي إِلَيْهِ، ثُمَّ أَقْبَلتُ إِلَى العِرَاقِ، فَعَمِلتُ بِهَا أَيَّاماً، فَلَمْ يَصْفُ لِي مِنْهَا الحَلاَلُ، فَقِيْلَ لِي: عَلَيْكَ بِالشَّامِ.

فمن أراد النجاح والفلاح فليبر أبويه، فإن بر الوالدين بركة في الدنيا والآخرة، والله عزّ وجل يُكرمُ الإنسان الذي يُكرم والديه ولا يغضبهما، وأما من كان عاقًّا لوالديه فإن الله يعجّل له العقوبة في الدنيا، ويكون ذا حسرة وندامة يوم القيامة. فكم هو عظيم عند الله برّ الأمّهات وبرّ الآباء، وتذكر أيها الابن أنك لن توفي حق أمك ولا بطلقة واحدة من آلام الولادة.

ذكر ابن الجوزي أن رجلًا أتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال: (إن لي أمًّا بلغ بها الكبر، وإنها لا تقضي حاجتها إلا وظهري مطية لها وأوضِّئها، وأصرف وجهي عنها – أي: عند وضوئها – فهل أدَّيْتُ حقَّها؟ قال: لا، قال: أليس قد حملتها على ظهري، وحبستُ نفسي عليها؟ قال: إنها كانت تصنع ذلك بك، وهي تتمنَّى بقاءك؛ وأنت تتمنَّى فراقها).

ويحكى أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما رأى رجلا يحمل امرأة عجوزا على ظهره ويطوف بها البيت الحرام. فسأله: (مَنْ هذه؟ قال له: إنها أمي، أتراني قد وفيتها حقها يا ابن عمر؟ فقال له ابن عمر: والله مهما فعلت بها فلن يعدل ذلك طلقة واحدة طلقتها فيك ساعة ولادتها).

يقول الله سبحانه في محكم كتابه: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾[82]، ويقولُ الله تعالى في كتابِهِ العظيم: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾[83] ويقولُ سبحانه ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾[84].

إنّ عقوق الوالدين من الكبائر التي توعَّد الله فاعلَها بالعذاب الشديد في النار، ومعنى العقوق أن يؤذيَ والديه أذًى ليس بهيّن، ومع ذلك فإيذاء الوالدين سواء كان أذًى شديدًا أو خفيفًا فهو حرام من الكبائر، وأمثلة ذلك كثيرة منها: شتمُ الأم، أو الأبِ أو ضربُ الأم أو الأبِ أو إهانتهما أو أحدهما، ومن جملة العقوق أن يطيع الولد أمه على ظلم أبيه أو يطيع الولد أباه على ظلم أمه، ولا ينفعه عند الله تعالى إن أطاع أمه في ظلم أبيه، لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، ونُصرةُ أحدِ الأبوين في ظلم الآخر حرام.

وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التعاون على الظلم، وورد في النهى عن الظلم أحاديث عدة، منها ما جاء عن أبي ذرّ الغِفاريّ رضي الله عنه عن النبيّ

---

[82] [البقرة: 83].

[83] [النساء: 36].

[84] [الأنعام: 151].

صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربّه عزّ وجلّ أنه قال: **(يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا)**[85]، وهو حديث طويل رواه مسلم، أي نزّهت نفسي عن الظلم، فربّنا منزّه عن الظلم فلا يُتَصَوَّرُ منه ظلم، قال الله سبحانه: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾[86].

لأنَّ الظلم هو وضع الشيء في غير محله وعرّفه بعضهم بأنه التصرف في ملك الغير بغير إذنه فهو إذًا مجاوزة الحدّ وكلّ هذا مستحيل على الله، أي لا يجوز في حق الله لأن الله هو المالك المطلق يفعل في ملكه ما يشاء ويحكم ما يريد. أما نحن فإننا نملك أشياء مَلَّكنا الله إيّاها ولا بدّ أن نلتزم أحكامَ الشرع كما أمرنا الله سبحانه.

وقد ورد في عذاب العاقّ لوالديه المسلمَينِ عند الله تعالى نصوص كثيرة حيث إن عاقَّهما لا يدخل الجنَّة مع الأوّلينَ، بل يدخلها بعد عذاب شديد مع الآخرين إن لم يعف الله عنه، وذلك لأنَّ هذا الذنب من كبائر الذنوب، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(لا يدخل الجنة عاق)**[87]، أي لا يدخلها مع الأوّلين.

---

[85] «صحيح مسلم» (8/ 17).

[86] [فصلت: 46].

[87] «مصنف ابن أبي شيبة» (14/ 155).

وهذا في حقّ الوالدين المسلمَين أما إذا كان الأبوان كافرين فالله تعالى أمرنا بالإحسان إليهما لكن لا يطيعهما في كفرهما ولا في معاصيهما، لأن القاعدة التي اتفق المسلمون عليها هي أن الإعانة على المعصية معصية والإعانة على الكفر كفر، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾[88] ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روى الإمام أحمد: (**لا طاعة لمخلوق في معصية الله**) وقد تقدّم.

ثم إن كان الأبوان مسلمَين فقيرَين محتاجين ففرض على الابن أن يُنفق عليهما فيطعهما ويكسوهما ويسكنهما كما أنه يجب على الابن المسلم أن يُزوّج أباه المسلمَ الفقيرَ إن كان محتاجًا للزواج وشقّت عليه العزوبة، فإن ترك الولدُ إعفافَ أبيه بالزواج مع كون الولد موسرًا وتأذّى الوالدُ أذى شديدًا من العزوبة فإنه يكون عاقًا لأبيه.

وقد جاء عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (**سألت النبيَّ صلى الله عليه وسلم أيّ العمل أحبّ إلى الله تعالى؟ قال: "الصلاة لوقتها" قلت ثم أي؟ قال: "برُّ الوالدين"**). وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم قال: (**من الكبائر شتمُ الرجلِ والديْهِ**) قال: (**يا رسول الله وهل**

[88] [لقمان: 15].

يشتم الرجلُ والديه؟) قال: **(نعم، يسُبُّ أبا الرجل فيسبُّ أباهُ، ويسبُّ أُمَّه فيسبُّ أمه)**.

واليوم وللأسف الشديد نجد كثيرا من الأبناء يعاملون آباءهم وأمهاتهم معاملة غير حسنة، ويغلّظون لهم القول ولا يعاملونهم بالأدب والاحترام، بل يصل بهم الأمر أحيانًا إلى حدّ الشتم والضرب لمجرّد أن أباه لم يشترِ له سيارة جديدة أولم يُعطِهِ من المال ما يريده ليصرفه على ملذاته وطيشه، أو لمجرد أن أمَّه لم تنفّذ له طلبه على النحو الذي يُحبه ويهواه، مع العلم بأن الله فرض بِرَّهما وحَّرم عقوقهما، وقد كان الحريُّ به أن يقدّم لهما المساعدة ويعينهما على مواجهة المتاعب بدل أن يكون فظًّا معهما غليظ القلب بذيء اللسان، عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(إن الله حرّم عليكم عقوق الأمهات، ووأد البنات، ومنعًا وهات، وكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال)**.

وقد أخبر ربنا أن الإنسان الظالم يفر يوم القيامة من قريبه الذي ظلمه، قال سبحانه وتعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (34) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (35) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾[89]، ففي يوم القيامة الإنسان الذي ظلم والده أو والدته، أو ظلم ابنه أو ظلم ابنته أو ظلم

[89] [عبس: 34-36].

أخاه أو الوالد الذي ظلم ولده أو ابنته هؤلاء يفرّون من بعضهم يوم القيامة، أما الولد البارُّ بأمه وأبيه لا يفرّ منهما ولا يفرّان منه.

فمن مُهمّات الأمور إذًا أن يُعلّم كم للظلم من مساوئ وظلمات يوم القيامة، فاحرص على أن تكون بارًّا بأهلك، معينًا لزوجتك، محسنًا لأخيك ولابنك وابنتك، تكن فائزًا بإذن الله تعالى الذي قال في محكم التنزيل: ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾[90].

وقد توعّد الله تعالى عاقّ لوالدَيه بأنواع من العقوبات منها:

نَيْل العقوبة في الحياة الدُّنيا:

فقد ورد عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال: (**بابانِ مُعجَّلانِ عُقوبتُهما في الدنيا: البَغْيُ، والعقُوقُ**). والقصص التي حصلت بمن كان عاقًّا لوالديه في الدنيا كثيرة جدًا يصعب حصرها، منها أنه سُمع من قبر نهيق حمار، كان الصوت يخرج من القبر فسمعه النّاس، فلما سألوا عن صاحب القبر وعرفوه ذهبوا ليسألوا عن حاله كيف كان وماذا كان يفعل حتى صار فيه هذا العذاب، فقيل لهم: كان يقول لأمه: اذهبي وانهقي كنهيق الحمار. وحُدّثتُ عن آخر ضرب أمه برجله

[90] [الزخرف: 67].

ثم خرج من بيته، ولما كان بالمصعد علقت رجله بالباب ونزل المصعد فقطع له رجله. نسأل الله السلامة.

سببٌ من أسباب الشقاء في الآخرة:

ففي حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال: **(ثلاثةٌ لا ينظرُ اللَّهُ عزَّ وجلَّ إليهم يومَ القيامةِ، العاقُّ لوالِدَيهِ، والمرأةُ المترجِّلةُ، والدَّيُّوثُ، وثلاثةٌ لا يدخُلونَ الجنَّةَ: العاقُّ لوالِدَيهِ، والمدمِنُ على الخمرِ، والمنَّانُ بما أعطى)**، أي لا يدخلونها مع الأولين، ومعنى لا ينظر إليهم أي لا يُكرمهم، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ النبيّ عليه الصلاة والسلام قال: **(رَغِمَ أنْفُ، ثُمَّ رَغِمَ أنْفُ، ثُمَّ رَغِمَ أنْفُ، قيلَ: مَنْ؟ يا رَسولَ اللهِ، قالَ: مَن أدْرَكَ أبَوَيْهِ عِنْدَ الكِبَرِ، أحَدَهُما، أوْ كِلَيْهِما فَلَمْ يَدْخُلِ الجَنَّةَ)**.

سببٌ من أسباب غضب الله:

في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال: **(لعن اللهُ من عقَّ والديهِ)**، واللعن ليس دائمًا يكون للكافر، إنما قد يكون لبعض المسلمين العصاة كما جاء في الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لعن آكل الربا وموكله وكاتبَه وشاهدَيه، ولعن شارب الخمر وساقيها وبائعها ومبتاعها وعاصرها

ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه وآكل ثمنها، ولعن الرجل يلبس لبسة النساء والمرأة تلبس لبسة الرجال، وكذلك العاق لوالديه ملعون لأنه ارتكب ذنبًا كبيرًا لا يحبُه الله بل نهى عنه نهيًا شديدًا.

استجابة دعوة الوالدَين على ولدهما العاقّ:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال: (**ثلاثُ دعوَاتٍ مُستجاباتٌ لا شَكَّ فيهنَّ: دعوَةُ المظلومِ، ودعوةُ المسافرِ، ودعوةُ الوالدِ على ولدِهِ**). فالمظلوم إن دعا على من ظلمه فإن الله يستجيب له حتى ولو كان المظلوم كافرًا، وكذلك من كان مُسافرًا فإن دعاءه مستجاب، والوالد أو الوالدة إذا دعا على ولده العاق فإنّ الله ينتقم للأب أو للأم من هذا الولد العاقّ.

ومن المهم ذكر بعض الأسباب التي تؤدي إلى عقوق الوالدين، إذ إن علاج المشكلة يتطلب معرفة السبب، فمن ذلك:

الجَهْل بفَضْل برّ الوالدَين:

إن عدم معرفة مكانة فضل بر الوالدين والأجر المترتّب عليه، يدفع الكثير من الشباب إلى عدم برّهم، قد يرى الشخص منا إنسانًا آخرًا بلباس عادي فيسلم عليه سلام الإسلام ويمر من جنبه مرورًا لطيفًا، ولكن في حال عرف أن هذا الذي سلم عليه

هو شخصية مشهورة اجتماعيًا مثلا لكان تعامله معه مُختلفًا، وقد رأيت ذلك في مقطع فيديو نُشر على مواقع التواصل الاجتماعي لامرأة كانت تمشي بإحدى الصالات فطلع لها مُغنٍّ مشهور جدًا فكادت تقع على الأرض بسبب ما رأته وأصيبت بحالة غريبة حتى إنها قد جلست على الكرسي قائلة: "لم تعد قدماي تساعداني على الوقوف" وصارت تقول وهي بحالة ذهول: "هل أنا في حلم؟ هل ما أراه حقيقة؟" والعجب ليس ما رأته بل هو الحالة التي وصلنا إليها للأسف الشديد. ومن باب الأولى أن يُعامل الإنسان والديه هذه المعاملة الفاضلة، بل عليه أن يعاملهما معاملة الملوك بل أحسن، ولأجل ذلك ينبغي الاعتناء بالصبيان، حتى يَنشأوا نشأة صالحة على عبادة الله والخوف منه سبحانه خوف التعظيم والإجلال، وعلى محبَّة الصلاة والمساجد والخير وفضل برّ الوالدين، وينبغي أن يُعوّد الطفل على سماع القصص الهادفة والأحاديث النبوية منذ صغره.

الجهل بعاقبة العاقّ لوالديه:

الجهل بعاقبة ومصير عاقِّ الوالدَين دافع كبيرٌ للعقوق، فلو علم شخص أنه لو خالف قانون السير في بلده سيتعرض للغرامة المالية لن يُقدم على المخالفة بالوقت الذي إذا أمن على نفسه الغرامة المالية فإنه يفقد ذلك الوازع ويخالف القانون، وكذلك

الأولاد بحال لم يعرفوا خطورة عقوق الوالدين منذ الصغر قد ينشأون –وهذا هو الواقع عند الكثيرين– على عدم الخوف من عقاب الله في الآخرة ويعقّون والديهم.

الرفقة السيئة:

وهي من أخطر الأمور التي قد تؤدي إلى المهالك وتمنع من الإقدام على الأعمال الصالحة، ومنها: البرّ بالوالدَين، وفي المقابل فإن الرّفقة الصالحة تحثّ وترغّب في العبادات، وغيرها من وجوه الصلاح والاستقامة، وكم من صحبة سوء كانت نهايتها المخدّرات والجرائم والسجون والخطف والقتل، ومن تعاليم النبي صلى الله عليه وسلم أن الصاحب ساحب إما إلى جنة وإما إلى نار.

عدم تنشئة الأولاد التنشئة الصالحة:

إن عدم الحرص على غرس تعاليم الدِّين والأخلاق الإسلاميّة في صغرهم من أكبر الدوافع للعقوق، ومن المهم إبعاد الأولاد عن الأمور التي تؤثّر وتعيق تربيتهم التربية الإسلاميّة الصحيحة، فالجدير بالوالدَين الحرص على المودّة والرحمة والاحترام فيما بينهما ممّا ينعكس على تربية الأولاد، فتكون المودّة قائمة وظاهرة فيما بينهم، مع الحرص على الحزم، وتعليمه أمور الدِّين، والحرص على أن تكون العلاقة بين الوالدَين والأولاد قائمةً على الصداقة والصدق والحب، وبذلك ينعم المجتمع بالراحة والطمأنينة.

من الصالحين رجل اسمه سهل التستري رضي الله عنه، كان السبب في سلوكه طريق الآخرة خاله محمد بن سوار، فقد روي عن سهل أنه قال: "قال لي خالي يومًا: يا سهل ألا تذكر الله الذي خلقك؟" قلت: "فكيف أذكره؟" قال: "عند تقلبك في فراشك ثلاث مرات من غير أن تحرك به لسانك: الله معي –أي بعلمه–، الله يراني، الله شاهدي –أي مطّلع عليّ" فقلت ذلك، ثم أعلمته فقال: "قلها كل ليلة إحدى عشرة مرة"، فقلت ذلك، فوقع في قلبي حلاوة. فلما كان بعد سنة قال لي خالي: "احفظ ما علّمتك، وداوم عليه، إلى أن تدخل القبر فإنه ينفعك في الدنيا والآخرة". فلم أزل على ذلك سنين، فوجدت له حلاوة في سرّي. ثم قال لي خالي يومًا: "يا سهل! من كان الله معه ويراه، وشاهده، يعصيه؟ إياك والمعصية"، فكان ذلك أول أمره، وكان عمره إذ ذاك ثلاث سنين.

فالتربية الصحيحة هي التربية التي تكون مبنيّة على الأسس والتعاليم المحمّدية، وفي قصص الصالحين مئات العبر والحكم، قال الله جلّ وعزّ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ﴾[91].

[91] [الأنعام: 90].

انحطاط وفساد في المجتمع

حثّ الرسول صلى الله عليه وسلم على الأخلاق الحسنة وأكدّ على أهميتها وذكر فضل صاحب الخلق الحسن، فقد وردت عشرات النصوص القرآنية والحديثية في ذلك، منها قول الله تعالى عن حبيبه محمد صلى الله عليه وسلم في القرءان الكريم: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[92]، وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِخُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ**)[93]، وقد كانَ خُلُق رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلم القرءان كمَا قالت سيِّدتُنا عائشةُ رَضي الله عنها: (**كانَ صلى الله عليه وسلم خُلُقَهُ القرآن**)، معناه أن الرسول صلى الله عليه وسلم كانَ يتخلّقُ بالأخلاق التي أمَرَ بها القُرآن، فالقرآنُ أمر بالعفو وأمر بالإحسان وبتحمل أذى الناس وبكف أذى الشخص نفسه عن غيره، هذا هو حسن الخلق الذي ينبغي أن يتخلّق به الناس.

وقد سئلت عَائِشَةُ ما كانَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يَصْنَعُ في بَيْتِهِ؟ قالَتْ: (**كانَ يَكونُ في مِهْنَةِ أهْلِهِ – تَعْنِي خِدْمَةَ أهْلِهِ – فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ خَرَجَ إلى**

---

[92] [القلم: 4].

[93] «صحيح ابن حبان» (1/ 492).

الصَّلَاةِ). وفعله صلى الله عليه وسلم من كمال الأخلاق، ليس كما يظنّ كثير من الرجال اليوم أنّ خدمته لزوجته وأهل بيته منقصة وأنه فقط عليه أن يكون كالملك في بيته يُخدم ويُحضر له كل ما يريد جاهزًا. والأحاديث في أهميّة حُسن الخلق كثيرة جدًا، إلا أنه ومع كثرتها وفضائل حسن الخلق وعظم درجته عند الله فإن هذه الصفة صارت شبه مفقودة بين النّاس إلا من رحم الله وسلّم.

إن الفساد والانحطاط الأخلاقي في المجتمعات على اختلاف طبقاتها صار أمرًا خطرًا جدًا، فكثير من شباب هذا العصر فقد الأمن والاستقرار النفسي والمعيشي، وهذا يعود لكثير من العوامل أهمّها فقد الوازع الدّيني الذي يدعو للفضيلة ويحارب الرذيلة، مما أدّى إلى انتشار الكراهية، العنصرية، الاحتيال، النصب، الاغتصاب، والمخدّرات وغير ذلك من المخاطر التي أدّت إلى الانحلال الأخلاقي الشامل، وتدهور وتتفكك المجتمعات مما أدّى إلى انتشار الجرائم وتزعزع الأمن والأمان وتدمرت أخلاق الكثير مما أوصلنا إلى مجتمع فاسد قلّ فيه أهل الصلاح لكثرة المفسدين.

إن عدم تحمّل أكثر الأهل للمسؤولية الواقعة عليهم وغيابهم وسوء التربية وقلة الرقابة على سلوك الأبناء أدّى إلى التفكك الأسري ونقص المشورة الأخلاقية، والابتعاد عن مجالس العلم والدّين له التأثير الأكبر بالإضافة إلى أقران وأصحاب السوء.

ولا ينبغي أن ننسى سهولة الوصول إلى مصادر المفاسد والمواد المسرطنة خاصة في هذه العقود الأخيرة، كالمواقع المخلة بالأخلاق والآداب التي صارت اليوم بمتناول الجميع، بالإضافة إلى المشهد الإعلامي غير المنظم الذي لا يخضع للرقابة السليمة، والذي نتج بسببه إغواء الصغار والكبار بالإعلانات المضللة والمشاهد غير الأخلاقية والخادشة للحياء، ومما وسّع هذا الانحلال دخول الثقافات المختلفة والحضارات الغربية بشكل عشوائي إلى ثقافاتنا الإسلامية ممّا أثر سلبًا على الشباب الذين يسعون إلى مجاراة العصر ومواكبته من غير ضوابط ورقابة، وهذا الأمر من الأمور الأساسية والمعضلات العظيمة التي كانت سببًا في سقوط الخلافة العثمانية كما يذكر السلطان عبد الحميد الثاني رحمه الله في مذكراته السياسية.

إن المجتمع البشري مؤلف من مجموعة أسر وكلّ أسرة مؤلفة من أفراد، ولا صلاح للمجتمع إلا بصلاح الأسرة ولا تصلح الأسرة إلا بصلاح أفراده كالأب والأم، ومن المعلوم أن السلطة تعود إلى الأب والأم وتتركز في يد الأب ولأجل ذلك فعلى الأب والأم دور كبير في عملية بناء الأسرة بناءً قويمًا لا اعوجاج فيه، فعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (**كُلُّكُمْ راعٍ وكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عن رَعِيَّتِهِ، والأمِيرُ راعٍ، والرَّجُلُ راعٍ علَى أهْلِ بَيْتِهِ، والمَرْأَةُ راعِيَةٌ علَى بَيْتِ زَوْجِها ووَلَدِهِ، فَكُلُّكُمْ راعٍ وكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عن رَعِيَّتِهِ**).

إنّ للأب والأم الدور الأول والأساسي في توجيه الأسرة وتأديبها وتعليمها، فإن كانا صالحين كان توجيههما نحو الصلاح، وإن كانا غير ذلك كان توجيههما نحو نقيضه، فعليهما أن يلتزما بأداء ما أوجب الله عليهما واجتناب ما حرّم حتى ينعكس هذا الالتزام خيرًا على أبنائهما فيكتسبوا من أخلاقهما. فالولد حين يرى والده ملتزمًا بأداء الصلوات في أوقاتها وبالصيام في شهر رمضان وملتزمًا ترك الغيبة والكذب والنميمة وشهادة الزور واللعن والسب بغير حق وملتزمًا ترك أكل مال الربا وشرب الخمر والقمار والرياء والتكبر على عباد الله وملتزمًا ترك الحسد والحقد والمكر والبخل والسرقة والغش والاحتيال وملتزمًا بطاعة الوالدين وصلة الأرحام وشكر الله على نعمه والصبر على أداء الطاعة وعلى البلاء وعما حرّم الله فإن هذا الولد في الغالب سيسلك مسالك أبيه الطيبة ويأخذ بخصاله المحمودة ويلتزم بما التزم به والده من الخير. وكذلك البنت لما ترى من أمها مثل ذلك مع الالتزام بستر العورة وهي جميع بدن المرأة إلا الوجه والكفين فإنها في الغالب ستقتدي بأمّها وتتخلق بأخلاقها وتسير على نهجها القويم.

ولكن الحقيقة التي تدمع لها القلوب وتحزن بها النفوس أنّ معظم البيوت أصابها الخراب بسبب خراب القلوب وعمّ فيها ظلام المعاصي بدل نور الطاعات وحلّت فيها مصيبة الانحلال والفساد بدل نعمة التقوى والطهارة، والسبب في كثير من الأحيان هو عدم ممارسة الوالدين لدورهما الصحيح في إصلاح أنفسهما وإصلاح أولادهما مما يفسح المجال ويترك الباب واسعًا لدخول من يتربص بأولادنا لممارسة دور التوجيه الفاسد

ولتحقيق أغراضه الدنيئة، فالمطلوب من أولياء الأمور أن يضعوا مصلحة أبنائهم الأخروية فوق كل اعتبار وأن يعملوا على تطبيق نصائح وتوجيهات سيدنا الرسول صلى الله عليه وسلم الذي علّمنا ووجهنا إلى الطريقة الفضلى في التربية الصحيحة.

فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ**)[94]، وفي هذا الحديث إرشاد إلى أهمية البدء في التنشئة منذ الصغر وليس كما يقول بعض النّاس الذين حرمهم الله نعمة التفكير السليم: (اتركوهم براحتهم ما زالوا صغارا، لا تأمروهم بصلاة وصيام، اتركوهم حتى يكبروا) فهذه العبارة وأمثالها قدّمت لنا أجيالًا يصعب علينا علاج فسادها. إنّ العلم في الصغر كالنقش في الحجر فمن عوّده أبواه على الصلاة والصيام والطاعة صغيرًا وجد نفسه معتادًا مواظبًا عليها كبيرًا.

كنت أعطي درسًا إحدى المرّات عن الأخلاق الحسنة وأهميتها وتحدثت عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعامله مع صحابته الكرام وذكرت حديث أنس رضي الله عنه لما قال: (**ما مسست ديباجًا ولا حريرًا ألين من كف رسول الله ﷺ، ولا شممت رائحة قطُّ أطيب من رائحة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال لي قطُّ: أفٍّ، ولا قال لشيء فعلتُه: لم فعلتَه؟**

[94] «سنن أبي داود» (1/ 185).

ولا لشيء لم أفعله: ألا فعلتَ كذا؟)، فابتسم بعضهم قائلا: أهلنا لا يعاملونا هكذا، فقلت له: نعم، أبوك ليس رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكذلك أنت لست كأنس رضي الله عنه. إذا كان الولد يفهم من نظرة فلم الكلام؟ وإن كان يفهم من الكلام فلم الصراخ؟ لكن أين من يفهم من نظرة؟ يحتاج الأهل اليوم إلى تكرير كلامهم عشرات المرات وربما لا يفهم الولد ولا يُنفّذ ما يُطلب منه.

من المهمّات الضرورية التي تقع على عاتق الأبوين أن يعلما ولدهما ما يحتاجه من ضروريات علم الدين عقيدةً وأحكامًا، ما كان من أصول العقيدة من وجود الله ووحدانيّته وقِدَمِه –أي أنه قديم لا بداية له– وبقائه وقيامه بنفسه ومخالفته للحوادث في الذات والصفات والأفعال أي أنه لا يشبه الضوء ولا الظلام ولا الإنسان ولا النبات ولا الجمادات من الكواكب وغيرها، وأن لله قدرة وإرادة وسمعًا وبصرًا وعلمًا وحياة وكلامًا، وأنّ محمدًا عبد الله ورسوله وأنه خاتم الأنبياء، وأنه عربي وأنه ولد بمكة وهاجر إلى المدينة، وأنّ لله ملائكة، وأنه أرسل أنبياء أولهم آدم، وأنه أنزل كتبا مع الأنبياء وأنه سيفني الجنّ والإنس ثم يعادون إلى الحياة وأنهم يجازون بعد ذلك على حسناتهم بالنعيم المقيم وعلى سيئاتهم بالعذاب الأليم، وأنّ الله أعدّ للمؤمنين دارًا يتنعمون فيها تسمى الجنة وللكافرين دارًا تسمى جهنم، وتعليمهما حرمة السرقة والكذب والزنا والغيبة والنميمة وضرب المسلم ظلمًا، وسنية السواك والجماعة ونحو ذلك من الأمور الظاهرة

وقد ذكر هذه التفاصيل كثير من العلماء منهم الغزالي رحمه الله تعالى. ولذلك فليتحمّل كلٌّ منّا مسؤوليته ويحافظ على أولاده ولا يتركهم للمتطرفين.

إذًا فالاعتناء بالأولاد وتربيتهم التربية الإسلامية الصالحة هي اللبنة الأولى لإصلاح المجتمع، فينبغي أن لا يُترك الناس هكذا أسرى لشهواتهم لأن فساد المجتمع يعني عدم الاطمئنان والأمان ومعناه نزول المصائب والنكبات العامة، ولا تنزل المصائب العامة إلا لذنب فشى، لذلك أمر الشرع بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهذا ما امتدح الله به أمة النبي صلى الله عليه وسلم بقوله سبحانه: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾[95]، والمرء إن رأى منكرًا بأهله عليه أن يُسرع لإنكاره ولا يتركهم على ذلك فإن فعل وترك فلينتظر نزول الضيق ورفع السعة والفرح، وقد تجرّأ بعض النّاس على الشرع فقال لما نُصح بإنكار ما يفعله بعض أولاده قائلًا: لا علاقة لي بهذا فالشرع –وقوله كذب وافتراء– قال عليكم أنفسكم" وقوله هذا جهل بالآية التي جاءت في القرءان حيث قال الله سبحانه: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾[96]، ومعنى الآية ليس كما قال هؤلاء بل المعنى أن الله أمر عباده المؤمنين أن يصلحوا أنفسهم ويفعلوا الخير ويجتهدوا في ذلك ما استطاعوا وأنّه من أصلح أمره لا يضره فساد من فسد من

[95] [آل عمران: 110].

[96] [المائدة: 105].

الناس، سواء كان قريبا منه أو بعيدا. قال سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه فيما ذكر القرطبي في تفسيره: يا أيُّها النَّاس، إِنَّكُم لَتقرأون هذه الآية: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾[97]، وَإِنِّي سمِعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (**إِنَّ النَّاس إِذا رَأَوُا الظَّالِمَ فَلَم يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيه أَوشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ بِعِقَابٍ مِنْهُ**). وفي رواية: (**إِذا رَأَوُا المُنكر فلم يغيروه**).

هناك الكثير من العوامل التي تؤدي إلى الانحلال والفساد الأخلاقي في المجتمعات منها:

- الجو العام السائد في المجتمع الذي يفوح بروائح المجون والفساد.

- قضاء الأولاد قسمًا كبيرًا من أوقاتهم خارج المنزل إما في الجامعة أو المدرسة أو مكان العمل أو الشارع أو بيوت أصدقائهم، مما يفتح لهم المجال لتلقي كمية كبيرة من المعلومات والتي يكون أغلبها غير منضبط وبعيد عن المصداقية.

- انتشار الانترنت وما تحويه كثيرٌ من صفحاته من أضرار، وسهولة الوصول إليها من غير ضوابط مما يشكل خطراً كبيرًا على عقول الناشئة خصوصًا ما تنشره من برامج غير أخلاقية.

[97] [المائدة: 105].

- رفاق السوء والأحزاب والجمعيات الهدّامة التي تقدم كافة الإغراءات الفاسدة للذكور والإناث.
- قلّة التقوى والخوف من الله.
- قلة العلم وانتشار الجهل.
- غياب دور الأسرة.
- كثرة دعاة الباطل.
- غياب الدور الأساسي للمسجد والمدرسة.
- دور الإعلام الكبير في الفساد الأخلاقي.
- التبعية العمياء للغرب.
- غياب التواصل بين أفراد الأسرة الواحدة.
- التعليم والمناهج التعليمية غير المنضبطة.

إن العلاج الأول والأساسي هو العودة إلى تعاليم الدين وإعادة تربية الأبناء وفقًا لمبادئ الإسلام الحنيف، فالعودة إليه كفيله بالقضاء على أغلب الأمراض المجتمعية وعلى رأسها الفساد الأخلاقيّ.

خطر الألعاب الإلكترونية

إن لم يكن للألعاب الإكترونية من الخطر إلا أنها تضيع الوقت، لكفى حتى نعمل على وضع حدٍّ لهذا النوع من الملهيات، لكن الأمر اتخذ جوانبَ عديدةً وصار مرتبطًا بأمراض كثيرة، وآثاره السلبية المتكاثرة على الصعيد النفسي والجسدي والاقتصادي والاجتماعي يصعب حصرها، فقد ذكر الدكتور جيري كينارد في موقع "هيلث سونترال" أنه: "ارتبط مفهوم الألعاب الإلكترونية بالعديد من المشاكل الصحيَّة كالسمنة، والكسل، والانطواء، والأمراض الاجتماعية، كما تؤثر أيضا على الصحة البدنية والعقلية، والتي تحصل بسبب كثرة استخدام هذه الألعاب، كما يُمكن أن تُسبب الألعاب الإلكترونية آلام في مفاصل اللاعب نظرا لفترات اللعبة المتواصلة التي يُمضيها اللاعب دون استراحة، وقد تكون آلام في مفاصل الرقبة، أو مفاصل اليد، أو مفاصل الرسغ، أو مفاصل الساعد، كما يُمكن أن يؤدي لعب هذه الألعاب إلى نقص في فيتامين د، نظرا لعدم تعرض اللاعب لأشعة الشمس مما يجعله أكثر عُرضة للإصابة بمرض الكُساح الذي يُسبب ضعفا في العظام، وبالتالي يؤدي إلى انثناء العمود الفقري والساقين".

وذكر الموقع: أنه تمَّ إجراء دراسة على مجموعة من الطلبة في سنغافورة من طلاب الصف الثالث والرابع والسابع والثامن، وقد كانت نتيجة هذه الدراسة أنَّ الطلبة الذين يعانون من إدمان للألعاب الإلكترونية يُعانون من مشاكل نفسيَّة مثل الاكتئاب، والقلق، والرهاب الاجتماعي، كما أنها تؤدي إلى تدنِّي الدرجات الدراسية لهؤلاء الطلبة". اهـ

وذكر موقعان على شبكة الانترنت وهما "هيلث هارفرد" و"هيلثي غيمير" العديد من أنواع الاضطرابات والمشاكل الصحيّة الناتجة من الإدمان على الألعاب الإلكترونية، ومنها ما يلي:

- الإجهاد المفرط خاصة في الألعاب التي تتطلب استخدام اليدين والذراعين باستمرار، مما يسبب الالتهاب في الأوتار والعضلات مثل: متلازمة النفق الرسغي، وكذلك التهاب غشاء الوتر الضيق (إصبع الزناد) وغيرها من الإصابات.

- التأثير على العين بشكل سلبي مما يؤدي إلى مشاكل في الرؤية مثل: الصداع وضعف التركيز.

- إمكانية الإصابة ببعض المشاكل النفسية المتعلقة بالإدمان على الألعاب الإلكترونية مثل متلازمة (IGD)، وهي متلازمة اضطراب ألعاب الانترنت.

- التسبّب في قلة النوم والأرق، مما يسبب أضرارًا وأمراضًا عديدة.

- انحصار المتعة في ممارسة الألعاب الإلكترونية، وذلك بسبب إفراز الدماغ المزيد من الدوبامين في كل مرة ليعتاد على الشعور بالفرح في اللعب فقط، وهو ما يؤدي إلى الإدمان عليها.

- التعرض لزيادة الوزن الناتج عن اللعب لساعات طويلة باستمرار وعدم تحريك الجسم.

وما ذكره الموقعان كافٍ للإسراع بالعمل على خطة مُحكمة لعلاج هذه الأزمة التي تصيب أطفالنا وشبابنا، فأولادنا لا يقلّون أهمية عن الأولاد الصينيين، فقد ذكر موقع "معرفة للدراسات" خبرًا عنونه بـ"الصين تقلل وقت لعب الأطفال بالهواتف المحمولة وألعاب الفيديو لثلاث ساعات فقط أسبوعيا" وجاء في الخبر: يبدو أن الحكومة الصينية تدرس كل شيء لتضع سياساتها المناسبة بشأنه، ووصل الأمر حاليا إلى وضع القيود حتى على وقت لعب الأطفال بالهواتف المحمولة، مع ازدياد ظاهرة إدمان الأطفال عالميا وليس في الصين فحسب لهذه الألعاب. قرار قد يكون من القرارات التي يريد الكثير من الآباء والأمهات حول العالم وليس في الصين فقط مؤيدين له وبحماس شديد ويريدون تطبيقه في بلادهم، رغم أنه قد يكون بمثابة نهاية غير سعيدة لأطفال الصين في فصل الصيف، على العائلات الصينية الآن أن تعيد تنظيم أوقاتها لتستعيد الشكل

الطبيعي لها، بدلا من قضاء الأطفال أيامهم يستخدمون الهواتف المحمولة في اللعب والتحدث للآخرين. اهـ

أشاهد في كثير من الأحيان أطفالًا وشبابًا وهم يلعبون بهواتفهم وللوهلة الأولى تشعر وكأن جهازا كهربائيا يصعقهم، فهم في حالة توتر دائم وفي حالة تشبه حالة الانفصام، لا سيما عند وضع "السمّاعات" في أذنيهم فلا هم يجيبونك إن ناديتهم ولا يلبونك إن طلبت منهم شيئا، وآثار تلك الألعاب ظاهرة على سلوكهم، وإن حاولت نزع الهاتف منهم فلتتوقع قبل ذلك ردة فعل قاسية جدًا منهم. ومن القصص التي يجدر ذكرها في هذا الصدد:

- أذكر أنني فصلت شبكة الانترنت عن أحد الشباب الذين كنت في زيارة لأهلهم دون أن يعلم أنني من فصلتها فنزل مسرعًا من غرفته يصبّ غضبه على من في البيت ويصرخ على أبويه ويوبخهما بصوت مرتفع قائلا: "من أطفأ الجهاز لقد خسرت بسببكم" وفعله هذا من عقوق الوالدين وهو من كبائر الذنوب، إذ لا يجوز للولد أن يقول لأبويه كلمة "أف" فكيف بالصراخ عليهما؟
- رأيت طفلا كان يلعب لساعات على الهاتف والألوان المنعكسة على وجهه من الشاشة تتبدل وتتغير من ضوء الشاشة فلما قلت

له: "لقد لعبت كثيرا لو ترتاح قليلا من الهاتف" لم يرد عليّ فكلمته بنبرة أعلى فتركه وذهب وهو غاضب إلى أمه ويبكي، لم يعجبه ما فعلت وظل يشكو ويبكي إلى أن عادت وأعطته الهاتف، أتعجب من حال الأهل إلى أين وصلنا.

- طفل آخر كذلك في السابعة من عمره قلت له: "تعال لنصلي معًا" فلم يرد علي، فكررت عليه الطلب فلم يرد فقلت له بهدوء: "تعال نصلي ثم تلعب" قال: لا! قلت له: إذا لم تترك الهاتف سآخذه منك، الصلاة أهم من اللعب، فقال لي: "لا أريد أن أترك الهاتف، ولا أريد أن أصلي" فحينها أخذت الهاتف منه وبقي معاندا نحو الساعتين لا يريد الصلاة ولا يريد إلا الهاتف.

انظروا أين وصل الأمر، هذا ما يريده بالضبط هؤلاء الذين أوصلوا إلينا هذه الهواتف والتطبيقات والألعاب، وقد صار من الصعب جدًّا علاج هذه المعضلة المتفشية، بدلًا من تربية الأطفال صرنا مع هذا بحاجة شديدة إلى إعادة تأهيل الأهل حتى يتمكنوا من استيعاب خطورة ما يفعلون وكيف أنهم بقصد أو بغير قصد يوصلون أولادهم إلى طريق خطر زلق.

هذه المشكلة غير مقتصرة على الأطفال فقط، بل على الشباب كذلك وما أعظمها من مصيبة، وما عاينته ورأيته خلال مخالطتي للنّاس سبّب لي صدمة كبيرة كان

من نتائجها أنني صرت أشعر بضيق في القلب عند رؤيتي لطفل أو شاب يلعب بالهاتف هذه المدة الكبيرة، أقول في قلبي: إن هؤلاء لم يعرفوا قدر الآخرة، يعيشون كأنه لا حساب غدًا، ماذا يفعلون يوم القيامة؟".

إن هذا الخطر والإدمان له نتائج كثيرة لا تُحمد عقباها منها:

- ترك الصلاة.
- عقوق الوالدين.
- التلفظ بألفاظ بذيئة وهتك أعراض المسلمين.
- الغيبة.
- السرقة.
- الانغماس بعلاقات محرمة.
- تضييع للوقت.
- السهر كل الليل مع ترك صلاة الفجر.
- تبذير المال فيما لا خير فيه.

إن هذه الأزمة المحيطة بنا إن لم نُسرع إلى تداركها فإن جيلًا كاملا سيكون من الصعب التحكم به وهذا الأمر قد حصل فعلًا لكن يمكننا علاج جزء كبير من هذا، فأكثر الشباب اليوم تصعب إدارتهم مما أدى إلى انتشار الفوضى والقلق وعدم الأمان، إن عنصر الشباب هو البنّاء للمستقبل كما تعلمنا منذ الصغر قد فسد، فمن الذي سيبني الآن؟ إن فسد الشباب فأيّ مستقبل سيُبنى وكيف؟

يقول الأفوه الأودي: [البسيط]

لا يَصلُحُ الناسُ فَوضى لا سَراةَ لَهُم وَلا سَـــراةَ إِذا جُهّـالُهُم ســـادوا
وَالبَيــتُ لا يُبتَنى إِلّا لَــهُ عَمَــدٌ وَلا عِــمــادَ إِذا لَم تُــرسَ أَوتادُ

فنصيحتي للأهل أن يتحمّلوا مسؤوليّاتهم وأن لا يُضيعوا أبنائهم وأن يكونوا يقظين كما ينبغي حتى لا يخسروا أولادهم وفلذات أكبادهم، كم من جريمة قتل أدّت إلى خسارة الأهل لأولادهم كان من أسبابها سوء التربية؟ أليس كثير من الشباب اليوم ينصاعون ويخضعون للمخدرات والموادّ السامّة؟ ويمشون مع العصابات القاتلة؟ كنت

مع أحد الشباب مرة نسير في إحدى المدن فقال لي: هذا الذي هناك عمره خمسة عشر سنة تاجر مخدِّرات" هذا ما سببه؟ لا يخرج من العائلات المحافظة دينيا عادةً هذا النوع من الفساد، بل يخرج ممن لم يهتم به أهله ولم يعملوا على تنشئته نشأة حسنة. إنّ الذي يستيقظ صباحا وينزل إلى الطرقات ليتسكّع ولا يعود إلا بعد فجر اليوم الثاني ليس حاله كحال من يستيقظ للفجر ليصلي ويقرأ القرءان ويذكر الله حتى تطلع الشمس. إن شأن التربية في الإسلام مُقدّم في الإسلام على تأمين الطعام والشراب واللباس الفاخر للأولاد.

مواقع التواصل الاجتماعي
إيجابيات وسلبيات

إن مواقع التواصل الاجتماعي تؤثّر بشكلٍ كبيرٍ في حياة البشر، وعلى الخصوص في هذه السنوات الأخيرة، حيث أصبحت المحرك الأساسي لما يقوم به أكثر الناس، لذلك فإنَّ كثيرًا من الدّراسات العلمية تناولت هذا الأمر وجعلته أساسا في أبحاثها، وتحدثت عن تأثيرات هذه المواقع على حياة الأفراد والمجتمعات سواء على الجانب السلبي أو الإيجابي.

كثير من الناس يقولون (سيف ذو حدين) عن أشياء لها منافع ومضار، فيطلقون ذلك للتنبيه والتحذير على أن هذا الشيء له فوائد وبنفس الوقت له أضرار، وكثيرا ما يطلقونها على مواقع التواصل لما فيها من خير وشر، يوجد قسم من النّاس يقولون: (إن مواقع التواصل لا فائدة منها إطلاقا) وهذا مدفوع لما شوهد من أبواب الخير التي فُتحت بسبب استخدامها استخدامًا صحيحًا، والصواب هو الاعتدال بأن يُقال: (من أراد فعل الخير مستعينا بها استطاع وأفاد، ومن أراد الشر باستخدامها وجد ما أراد).

إن مواقع التواصل باب مهم من أبواب نشر الخير ووسيلة بالغة الأهمية للوصول إلى أهداف سامية وهذا كله لمن علم كيف يستخدمها ويطوّعها لمشروع خيري تنتج عنه ثمرات البركة والنفع، فهي باب مهمٌّ من أبواب الدعوة إلى الله والإصلاح والإرشاد والتعليم والتشجيع على الخير والتذكير بالعمل النافع.

وأصل التواصل إنما يكون بين شخصين أو أكثر، فإذًا هناك من يلقي وهناك من يسمع، وليس كل من يستخدم تلك الوسائل ينفع، بل أكثر من يستخدمها لا ينفع بخير والنّاس متفاوتون في ذلك، فمنهم من جعل صفحته للكلام السخيف الذي لا خير فيه، ومنهم من جعلها للاستهزاء بالناس والوقوع بأعراضهم وفضحهم والنيل منهم بغير حق، ومنهم من جعلها لنشر الفساد والأفكار الانحلالية والتملص من مكارم الأخلاق، ومع كل هذه الضوضاء المزعجة والظلام الحالك خرجت نواة طيبة تريد النفع والخير ونشر الفضيلة في مجتمع عمّ الفساد فيه وانتشر، وسيطرت على كثير من مرافقه أدوات الشر والجهل.

قد قيل (اتسع الخرق على الراقع) وهذا حق وصدق وواقع مرير، ومع أهمية ما يفعل هؤلاء الدعاة الطيبون والآثار الجميلة التي ظهرت على أيديهم إلا أنه لا يكفي هذا العدد ولا تَسدُّ هذه الهمم الضرورات اللازمة، إن من مهمّات الأمور في هذا الزمن الإسراع في إرشاد الناس إلى كل خير، ومن أولى المهمّات الأمر بالمعروف والنهي عن

المنكر ومحاربة المنكرات، فالسكوت عن هذا الأمر أوصلنا إلى الحالة المزرية التي نحن عليها، سكوت الكثير من المسلمين عن هذه الفريضة التي افترضها علينا الله جلّ جلاله كان سببًا من الأسباب التي فتحت لدعاة الإلحاد والانحلال الطرق إلى بيوت المسلمين، وأبقى لهم الساحة فارغة خاوية فانتشروا دون خوف من رادع أو مستنكر للشرّ الذي يقومون بنشره بين صفوف الأمة.

لا ينبغي للذكي الفطن أن يضيع أوقاته وأنفاسه في غير الخير، وإن خير ما ينفق الإنسان فيه أنفاسه طاعة الله جلّ وعز، فبدلا من الدخول إلى تلك المواقع وتمضية الوقت فيما لا منفعة فيه اعمل على أن تكون واعظا لنفسك ولغيرك، قال عليه الصلاة والسلام: "فيما أنزل الله تعالى في تلك الصحف التي أنزلها على إبراهيم عليه السلام: **(على العاقل ما لم يكن مغلوبًا على عقله أن تكون له ساعات، ساعة يناجي فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يفكر فيها فيما صنع الله وساعة يخلو فيها لمطعمه ومشربه، وعلى العاقل أن يكون بصيرًا بزمانه مقبلاً على شأنه حافظًا للسانه فمن حسَب كلامه من عمله قل أن يتكلم إلا فيما يعنيه)**.

فادخل إلى تلك المواقع وانشر الفوائد الدينية والعلم الصافي والوعظ والإرشاد واعمل على إنكار المنكرات بحكمة ولا تكن فظًّا غليظ القلب فينفضّ الناس من حولك، فإن رأيت منكرا وكنت قادرا على أن تكلم فاعله بينك وبينه فافعل وانصحه

برفق وبيّن له خطورة ما فعل دون شدّة حتى يقبل منك، فكم من منكر أزيل بكلمة طيبة ونصيحة صادقة، ولا تجعل همك الوصول إلى أكبر عدد من الإعجابات والتعليقات، فلو فعلت خيرا مرة واحدة وكنت صادقا في ذلك غير مراء فلك الأجر العظيم عند الله، فكيف بك وأنت تعمل ليل نهار بكل جهد حتى تنشر الفضيلة وتمحق الرذيلة وتحارب الأفكار المناقضة للحق والشريعة؟

قال ربنا جلّ وعز في سورة ق: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[98]. وقد قيل (**إن القلم أحد اللسانين**) فما تكتبه يسجله الملكان رقيب وعتيد، فإن كان خيرا فهو لك وإن كان شرا فعليك، فاحذر من صرف وقتك فيما لا خير فيه ومن تضييعه بما لا يعود عليك إلا بالندم، كن داعيا للخير مُرشدًا ناصحًا وتذكر قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[99].

[98] [ق: 18].

[99] [آل عمران: 110].

إيجابيات مواقع التواصل الاجتماعي:

تتعدد إيجابيات مواقع التواصل الاجتماعي وعلى الفرد أن يُحسن استخدامها كما مرّ آنفا، حتى وإن كانت سلبياتها أكثر إلا أنّ الفائدة التي تُحصّل من خلالها لها وقع وتأثير كبير على حياة الأفراد والمجتمعات ومنها:

- باب كبير لنشر الخير والتعاليم الدّينية الصحيحة الخالية من الشوائب.
- نشر الوعي السليم والثقافة المفيدة لعدد كبير من الأشخاص وبطريقة سهلة بدون كلفة.
- أداة مفيدة وفعّالة لبناء علاقات جديدة من ثقافات مختلفة.
- إعادة وصل العلاقات المنقطعة التي حصلت بسبب الحروب أو العمل أو لظروف أخرى.
- إمكانيّة معرفة بعض أحوال الفقراء والمساكين مما يدفع أهل الخير إلى تقديم المساعدة.
- متابعة بعض أخبار العالم إذ إن الإنسان الذكي ينبغي له أن يكون عارفًا بصيرًا بما يجري في زمانه.

- إمكانية أصحاب الشركات والمؤسسات من الترويج لسلعهم وبيع منتجاتهم لفئة كبيرة.
- توفّر فرص عمل عبر الإنترنت كالتعليم والتدريب والتطوير والبرمجة وغيرها.

إلى غير ذلك من الفوائد والإيجابيات التي تُحصّل من خلالها.

بعض سلبيات هذه المواقع:

أما عن السّلبيات فهي كثيرة جدًا يصعب حصرها وإحصاء ضررها إلا أنني أذكر بعضًا منها:

- تتيح لأهل الفساد نشر فسادهم وضلالهم.
- تتسبب بفضح خصوصيات كثير من الأشخاص وكشف المستور.
- تضييع الأوقات فيما لا خير فيه.
- دافع لإقامة علاقات غير شرعيّة محرمّة.
- مشاكل عائلية وقد حصل بسببها آلاف حالات الطلاق حول العالم.
- عزلة اجتماعية بحيث يقلّ تفاعُل الأشخاص مع بعضهم البعض.
- صرف الأشخاص عن أهداف أساسية كالحصول على وظيفة جيدة أو تعلُم مهارات جديدة، وتجعلُهم يسعون خلف أهداف مُزيفة كتحقيق النجومية عبر الإنترنت.

- كثرة عمليات النصب والاحتيال كونها سهلت للأشخاص المحتالة العثور على ضحايا للإيقاع بهم.
- التنمُّر وإثارة مواضيعه التي أقلقت مجتمعات بأكملها.
- سهولة الترويج للمخدرات والمواد المحرّمة.
- الرسوب بالمدرسة بحيث يقضي كثير من الأطفال أكثر وقتهم على تلك المواقع بالإضافة إلى الألعاب فيقلّ تركيزهم على الدّراسة.
- نشر الرذائل من خلال الأفلام غير الأخلاقية.

وعلاج هذه المشكلة يكمن في أمرين:

الأول: الالتزام بالآداب الإسلامية التي حددها الشّرع.

الثاني: صرف الوقت فيما يعود على المجتمع بالفائدة العامّة.

مُعظم المشاكل التي تحصل سواء على الصعيد الشخصي أو المجتمعي ترجع إلى عدم معرفة الأحكام الشرعية وبناء عليه عدم تطبيقها، نعم إنه لن تعود المياه لمجاريها ولن تقلّ الجريمة ولن يتوقّف الدمّار الفكري والمجتمعي إن لم نرجع إلى التعاليم الإسلامية ونطبّقها كما أمر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، هذا هو الحلّ الوحيد الذي سيخرجنا

من الظلام الدامس الذي نحن فيه إلى النور الذي نعيش من خلاله بسلام، أما بالنسبة لمواقع التواصل فعلينا أن نعمل جاهدين على تخفيف ضررها وهذا يتطلب تكاتف مجتمعي كامل.

لا بُدّ أولًا أن نعترف بأن هناك مشكلة وأنه علينا الإسراع لعلاجها، هناك الكثير من الطرق لعلاج هذه المعضلة، ومن أهمها في الوقت الحالي أن يُسرع الأهل في إنقاذ أولادهم، فتأثيرهم على أطفالهم وهم في مراحل الطفولة الأولى أسهل بكثير من التأثير عليهم في مراحل متقدّمة، ومن النتائج السلبية التي تظهر على الأطفال سريعًا الانفصال عن المجتمع إما بشكل جزئي أو بشكل كامل، وهذا الانفصال يؤدي إلى الإصابة باضطراب التواصل الاجتماعية.

جاء في صحيفة الخليج الالكترونية مقالٌ بعنوان "**اضطراب التواصل الاجتماعي.. التشخيص نصف العلاج**" وذكر الموقع في المقال توصيف الاضطراب فقال: يعتبر اضطراب التواصل الاجتماعي العملي أحد اضطرابات النمو العصبية، وتظهر خلال فترات النمو المبكر وتتميز بحصول عجز تطوري يؤدي إلى الانخفاض في الأداء الشخصي، واللغوي، والاجتماعي، والأكاديمي، ويقبع في الدليل التشخيصي الخامس للاضطرابات العقلية ضمن الفئة التصنيفية لاضطرابات التواصل، ويعرف بأنه صعوبة في التفاعل الاجتماعي الذي يظهر في عجز الفرد عن فهم واتباع القواعد

الاجتماعية من خلال السلوك اللفظي، أو غير اللفظي، التي تُؤثر في سلوك الفرد، وأفكاره، واتجاهاته نحو الآخرين خلال المواقف الطبيعية، يؤثر اضطراب التواصل الاجتماعي العملي في تطور العلاقات الاجتماعية، والفهم، والسمات الأكثر شيوعًا التي ترتبط بالعوامل الاجتماعية في اضطراب التواصل هي ضعف اللغة، وقلة التواصل الاجتماعي بها، وضعف استخداماتها في التفاعلات الاجتماعية المختلفة (مثل إلقاء التحية، وتبادل المعلومات، وتغيير الخطاب ليتناسب مع السياقات الاجتماعية المختلفة، وفهم الأشياء الضمنية غير المصرح بها أثناء التواصل، وفهم الكلام أثناء المحادثة، أو فهم المحتوى القصصي إلى جانب وجود ضعف الانتباه، والعديد من المشكلات السلوكية".اهـ

زارني مرة شخص وكان معه أخوه عمره نحو ثلاثة عشر سنة ليس أكثر، مكث عندي هذا الضيف ثلاثة أيام، فوجدت صعوبة كبيرة في التواصل مع أخيه الصغير، كنت أقول له: تعال كُل معنا، تعال اقعد معنا، كان جوابه في أكثر الأحيان: "لا أريد، لا أشعر بالجوع" كان يجيبني وهو ينظر بهاتفه وعلامات القلق والتوتر تظهر على تعابير وجهه وكأنه في حالة انفصال عن المحيط الخارجي، لم يُتعب نفسه حتى للنظر إلينا أثناء حديثه بالإضافة إلى طريقة تصرفّه الغريبة. لست طبيبًا لأُشخّص حالته ولكن ما رأيته خارج عن الآداب والأخلاق الإسلامية من احترام الكبير وعدم تضييع الوقت فيما لا خير فيه، وهذه المعضلة منتشرة في مجتمعاتنا بين صفوف أكثر الشباب.

قامت إدارة إحدى الشركات الكبيرة بإنذار موظف لديها بفصله بسبب تأخره المتكرر عن العمل، وكان في هذه الشركة طبيب نفسي متخصص في شؤون الموظفين، فاستدعى هذا الموظف ليساعده في إيجاد حلٍ لمشكلته، وأثناء الحديث تبين للطبيب أن سبب تأخر هذا الموظف هو السهر ليلًا مما أصابه باضطراب بالنوم، مما جعله ينام ساعات زائدة في الصباح فيتأخر عن عمله، حاول الطبيب مساعدة الموظف لتنظيم وقته، لكن المشكلة الأساسية لم تكن في عدم تنظيم الوقت، بل كانت في أن هذا الشخص يقضي أكثر وقته على مواقع التواصل، وبعد متابعة الطبيب لهذه الحالة تبين له أن سبب مكوثه هذه الساعات لوقت طويل كان ليجذب الناس حوله من خلال كتاباته وتعليقاته والصور التي ينشرها ليملأ الفراغ الذي يشعره به بداخله، حيث اكتشف الطبيب فيما بعد أن هذا الموظف فاقد للثقة بالنفس، وكان يسهر كل الليل محاولا تعويض هذا النقص. ولا شكّ أن ما قام به هذا الموظف ليس هو الحل، بل ما قام به وهمٌ في وهم وزيادة في المشكلة.

نشر موقع "العربي الجديد" خبرًا تحدث فيه عن جرائم قتل حصلت بسبب الاستخدام السيء وغير المسؤول لمواقع التواصل الاجتماعي، جاء في الخبر: تؤثر وسائل التواصل الاجتماعي على حياة الناس بطرق مختلفة، لكن في بعض الحالات كانت سببا في موتهم، وهنا أغرب حوادث الموت والقتل التي كانت تلك المواقع طرفا فيها، وقد رصدت وسائل الإعلام الغربية عشرات الجرائم التي كانت خلفياتها مرتبطة بمواقع

التواصل بينها "واشنطن بوست"، وموقع "رانكر" الأميركي، ومن هذه الجرائم: "أب قتل زوجته السابقة بسبب منشورات عن مصاريف ابنهما" حيث تسببت منشورات الزوجة السابقة لرجل يدعى آدم بالغضب، حيث كانت تتحدث عن مصاريف طفلهما التي عليه أن يتحملها، وقام في أحد الأمسيات بضرب رأسها بالمطرقة ثم ضرب عنقها، وترك جثتها ليكتشفها ابنهما البالغ من العمر خمس سنوات في اليوم التالي. ومن سخافة العقول ما يؤدي إلى القتل الهمجي حيث قام رجل يدعى سكوت هامفري (27 سنة) بقتل صديقه لأنه نكز "حبيبته" على فيسبوك وحكم عليه بسبب جريمته هذه بالسجن، وكذلك قتل رجل زوجته لأنها غيرت حالتها على فيسبوك من "متزوجة" إلى "عزباء"، والقصص حول هذا كثيرة يصعب حصرها.

ولا أظن أن أحدًا ينسى الأطفال الذين ماتوا بسبب بعض الألعاب التي كانت تأمرهم بأشياء خطرة، فقد نشر موقع العربية على الانترنت خبرًا صادمًا قالت فيه: في محاولة منه لمحاكاة تحدي الـ"تيك توك"[100] المنتشر حاليا بين طلاب المدارس والذي يعرف بـ"تحدي تشارلي" أو "لعبة الشياطين"، أنهى طفل مصري حياته شنقاً داخل منزله. وبدأت القصة بعثور أسرة في منطقة بهتيم التابعة لمدينة شبرا الخيمة بمحافظة القليوبية على نجلها الطفل البالغ 12 عامًا مشنوقًا داخل غرفة نومه. وتم إخطار

[100] لي كتاب حول موقع التيك توك، تحت عنوان: رسالة إلى الآباء حول ما يجري على تيك توك، أنصح بالاطلاع عليه.

الأجهزة الأمنية بالقليوبية بالعثور على جثة الطفل ويدعى مصطفى مشنوقا بواسطة حبل داخل غرفة نومه بمنزله، حيث فوجئت والدته عقب عودتها إلى المنزل بحال ابنها.

يتحمل هذه النتائج السلبية بالدرجة الأولى الأهل فهم الرادع الأول والمسيطر الوحيد في البيت، هذا ما ينبغي أن يكون عليه الأهل، وليس كاليوم للأسف الشديد تنظر أن الأولاد هم الذين يقررون ما يفعلون بالوقت الذي يريدون وكيف ما يشاؤون، قلت لأحد الآباء ناصحًا له: هل تعرف أن ابنك لا يصلي؟ قال: نعم، قلت وكيف تسكت عن هذا ولا تأمره بالصلاة؟ وبالوقت ذاته تسمح له بل وتوصله لممارسة الرياضة التي يحبها غير آبه بموضوع الصلاة؟ فقال لي: أنا أخاف إن شددت عليه أن تصيبه حالة نفسية. إن جواب الأب كاد يصيبني بحالة عصبية شديدة، فكيف براشد عاقل يعرف أهمية الصلاة في الإسلام ولا يأمر ولده بها بحجة أنه يخاف من تعب نفسيته؟ أليس إن مات هذا الابن بعد البلوغ وهو تارك للصلاة يستحق عذاب الله حتى ولو كان من الناحية النفسية مُرتاحًا؟ أوليس إن تعب بسبب الضغط عليه ليصلي له الأجر والثواب في مخالفته لشيطانه ولأجل أنه يصلي؟ هذا إن سلمنا جدلًا أن نفسيته تتعب، لأن هذا الكلام باطل غير صحيح، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم أمر ولي الصبي أن يأمره بالصلاة عند سبع وضربه عند عشر إذا لم يأت بصلاته، لقد أمرنا أهلنا بالصلاة ولم تتعب نفسيتنا ولا تأثرت بل أمرهم لنا وتأثيرهم المباشر علينا كان له النفع لنا في الصغر والكبر.

فلا بدّ من الحيطة والحذر من أن يقع شبابنا وأطفالنا فريسةً لهذه المهلكات الزاهقات للأرواح، أو لأحزاب وتنظيمات تهدف إلى تجميع مناصرين لتنفيذ أفكار مريضة أو أعمال مشبوهة أو عمليات تجسس أو أعمال إرهابية متطرّفة. نعم الأمر خطر جدًا ليس مجرد كلام نكتبه، وليست مجرد مواقع تواصل أو ألعاب يُتسلّى بها، الأمر أخطر وأكبر مما يتصوّر كثيرٌ من الآباء.

الزنا وآثاره السلبية على الفرد والمجتمع

الإنسان مخلوق مركب من جسم مدرَك بالبصر، ونفس مدرَكة بالبصيرة، قال الحكماء: قد ركّبَ اللَّهُ الإنسانَ تركيبًا محسوسًا معقولًا، وقد جعل اللَّهْ للإنسان خمس قوى وهي: قوة الغذاء، الحس، التخيل، النزوع والتفكر، ومما رُكّب في الإنسان "الشهوة" وهذا أمر لا مهرب منه، لكن إن استخدمها الإنسان في طاعة الله غنم وإن استخدمها بالشر خاب، ولا يُقصد بالشهوة شهوة الجماع فقط، بل يشار إلى هذه الكلمة ويُقصد بها غالبا: شهوة المال، والطعام، والكلام، وكذلك الجماع، وهذا الأخير هو ما أكتب عنه والبحث لأجله، وعنه يقول الإمام الغزالي رضي الله عنه: " إن كان –أي الإنسان– ملجمًا بلجام التقوى فغايته أن يكف الجوارح عن إجابة الشهوة فيغض البصر ويحفظ الفرج".

قد جعل الله في البشر تلك الأحاسيس والشهوات، وحفظًا لهم من استخدامها في الحرام أحلّ اللهُ تعالى "الزواج" فقال سبحانه: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[101]،

[101] [الروم: 21].

وجعل له عقدا وشروطا وضوابطَ على من أراد الإقدام عليه أن يحيط بها ويتعلمها، إذ لا يجوز للإنسان أن يُقدم على شيء ما لم يتعلم ما أحلّ الله منه وما حرّم، لكن ليس كل عبد يلتزم بأوامر الله ونواهيه بل أكثر البشر لا يؤمنون كما قال سبحانه في القرآن العظيم: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾[102]، وحتى من المسلمين كذلك من لا يلتزم بأوامر الله فيرتكب الجرائم والمحرمّات فيلحقون بذلك شهواتهم ونزواتهم غير آبهين بنتائج هذا الفعل سواء على الصعيد الشرعي أو الجسدي، فتراهم منكبين على الدنيا وزينتها ولا تنام عن اللذات أعينهم.

وقد صدق القائل: [البسيط]

تَفنى اللَذاذَةُ مِمَّن نالَ صَفوَتَها ... مِنَ الحَرامِ وَيَبقى الإِثمُ وَالعارُ

تُبقي عَواقِبَ سوءٍ في مَغَبَّتِها ... لا خَيرَ في لَذَةٍ مِن بَعدِها النارُ

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[103]، وقال حكاية عن إبليس: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (82) إِلَّا

[102] [يوسف: 103].

[103] [يوسف: 53].

عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (83)﴾[104]، فإذا لم يستوقف العبدُ نفسه عند حدها ويلجمها بلجام التقوى والخوف من الله، ويأطرها على الحق أطرًا ضلّت وجمحت وفسدت أعظم الفساد وقادت صاحبها إلى الهلاك، ولا ينجو المسلم من شر هذه النفس إلا بمجاهدتها على الدّوام، قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (40) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى (41) ﴾[105]، ومن كلام الحكماء: "واعلم أن مثال القلب مثال الحصن، والشيطان عدو يريد أن يدخل الحصن فيملكه ويستولي عليه، وطريقه إلى ذلك إثارة الوساوس والهواجس، فلا تتوصل لحماية قلبك إلا بمجاهدة وساوسه ودفع ما يلقيه".

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (1) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (2) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (3) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (4) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (5) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (6) فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (7)﴾[106]، قد ذكر الله في هذه الآيات شيئًا من صفات المؤمنين المفلحين الذين يدخلون الفردوس بأمان وسلام، ومن هذه الصفات حفظ المؤمنين فروجهم من الحرام فلا يقعون فيما نهاهم الله عنه من زنا ولواط،

---

[104] [ص: 82-83].

[105] [النازعات: 40-41].

[106] [المؤمنون: 1-7].

لا يقربون سوى أزواجهم التي أحلّها الله لهم، فمن تعاطى ما أحلّه الله له فلا لوم عليه ولا حرج كما في الآية، بل إن أتى زوجته بنية صالحة لإعفاف نفسه وإعفافها ولتكثير أمة محمد وحتى يكون منهما ولد صالح يعبد الله تعالى فله أجر على ذلك كما قال عليه الصلاة والسلام: (**وفي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ، قالوا: يا رَسولَ اللهِ، أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكونُ له فِيهَا أَجْرٌ؟ قالَ: أَرَأَيْتُمْ لو وَضَعَهَا في حَرَامٍ، أَكانَ عليه فِيهَا وِزْرٌ؟ فَكَذلكَ إذَا وَضَعَهَا في الحَلَالِ كانَ له أَجْرٌ**)، أما من ابتغى وراء ذلك أي الأزواج والإماء فأولئك هم العادون أي المعتدون الظالمون، فالمسلم الذي يريد رضا الله، عليه بحفظ فرجه مما حرّمه الله تعالى، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: (**مَنْ ضَمِنَ لِي مَا بين لَحْيَيْهِ وَرِجْلَيْهِ، ضَمِنْتُ لَهُ الجَنَّةَ**)[107].

وقد نهانا الله عن الزنا وما يدعو إليه من النظر واللمس والخلوة لأن هذه الأمور تؤدي إلى الزنا، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنى أدرك ذلك لا محالة فالعين تزني وزناها النظر واليد تزني وزناها اللمس والرجل تزني وزناها الخُطا واللسان يزني وزناه المنطق والفم يزني وزناه القبل والنفس تمنى وتشتهي والفرج يصدق ذلك أو يكذبه**). وسميت هذه الأشياء باسم الزنا لأنها تؤدّي إلى الزنا الحقيقي.

[107] «مسند أبي يعلى» (3/ 531).

فالإنسان العاقل لا يُقدم على الزنا ولا على مقدّماته وأسبابه ولا سيما النظر إلى النساء النظر المحرّم فإنّ هذا النظر يؤدي إلى عواقب وخيمة، النظر سهم من سهام إبليس مسموم، وكم من نظرة أورثت حسرة وندامة طويلة، السهم يؤثّر في الجسم فيفسد الأعضاء، والنظر المسموم يؤثر في الروح فيفسد القلب، وكثيرًا ما يحصل أن يُتبع الشخص النظرة نظرة أخرى ويديم النظر إلى أن تُزرع في القلب الشهوة وكفى بها لصاحبها فتنة، ثم أيّ غاية لمن ينظر إلى ما ليس له؟ إنه بفعله هذا يجر قلبه إلى الاضطراب، وأعصابه إلى الهيجان، فهو كمن يأكل ما يُمرضه، لمجرد مذاق حلو، ولو صبر قليلًا، وكبح جماح نفسه، لوجد حلاوة الطهارة، وأمن المفسدة العظيمة.

قد قلّ الحياء أو فُقد عند الكثير من النّاس من الرجال والنساء، لكن ما يُرى من الكثيرات حيث صرن يلبسن الرقيق الذي يصف لون البشرة ويُظهرن العورة لا يستحيين من الله ولا من الخلق، يدفعك للتعجب، أين كُنّا وأين صرنا اليوم؟ وقد جاء في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**ما من صباحٍ إلَّا وملَكان يُناديان ويلٌ للرِّجالِ من النِّساءِ وويلٌ للنِّساءِ من الرِّجالِ**)، أي على العموم.

ومما يساعد على ترك النظّر والتتبع المحرّم أن تعلم أن من العيون التي لا تمسها النار عينًا غُضت عن محارم الله، فقد قال صلى الله عليه وسلم: (**كل عين باكية يوم**

القيامة إلّا ثلاثة أعين، وذكر منها: **عينًا غضت عن محارم الله)**[108]، ويروى أنه كان في زمن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه شابٌ متعبد قد لزم المسجد وكان عمر معجبا به وكان له أب شيخ كبير فكان إذا صلى العتمة انصرف إلى أبيه وكان طريقه على باب امرأة فافتتنت به فكانت تنصب نفسها له على طريقه بها، فما زالت تُغويه حتى تبعها فلما أتى الباب دخلت وذهب يدخل فتذكر قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾[109]، فوقع على الأرض مغشيا عليه، فدعت المرأة جارية لها فتعاونتا عليه فحملتاه إلى بابه فخرج أبوه الشيخ يطلبه فإذا به على الباب مغشيا عليه فدعا بعض أهله فحملوه فأدخلوه فما أفاق حتى ذهب من الليل ما شاء الله، فلما أفاق قال له أبوه: ما لك؟ قال: خير، قال فإني أسالك، فأخبره بالأمر، قال: أي بني وأي آية قرأت فقرأ الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾[110]، فخرّ مغشيًّا عليه فحركوه فإذا هو ميت فغسلوه وأخرجوه ودفنوه ليلًا، فلمّا أصبحوا رفع ذلك إلى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فجاء إلى أبيه فعزّاه به وقال ألا آذنتني قال: يا أمير المؤمنين كان الليل، فقال عمر رضي الله عنه: اذهبوا بنا إلى قبره، فأتى عمر ومن معه القبر

---

[108] «المطالب العالية محققا» (13/ 538).

[109] [الأعراف: 201].

[110] [الأعراف: 201].

فقال عمر مخاطبا الشاب الذي مات من شدة خوفه من الله، قال: يا فلان ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾[111] فأجاب الفتى من داخل القبر: (يا عمر قد أعطانيهما ربي عزَّ وجلَّ في الجنة مرتين)، فالعاقل لا يتبع النفس والهوى فمن اتبّع الهوى هوى في الهاوية ومما قيل: [الكامل]

إبليس والدنيا ونفسي والهوى كيف الخلاص وكلّهم أعدائي

ولنا في جواب النبيّ صلى الله عليه وسلم للرّجُل الذي سألهُ عن أعظم الذُّنوب العبرة والحكمة العظيمة، فقد قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (**سَأَلْتُ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: أيُّ الذَّنْبِ أعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ؟ قالَ: أنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وهو خَلَقَكَ. قُلتُ: إنَّ ذلكَ لَعَظِيمٌ، قُلتُ: ثُمَّ أيٌّ؟ قالَ: أنْ تَقْتُلَ ولَدَكَ تَخافُ أنْ يَطْعَمَ معكَ. قُلتُ: ثُمَّ أيٌّ؟ قالَ: أنْ تُزانِيَ حَلِيلَةَ جارِكَ**). وما كان ذلك إلّا لما يترتب على فعل الزّنا من آثار كارثية على الفرد وعلى المجتمع من تدمير للأُسر، واختلاطٍ للأنساب وارتكاب لحرمات الله.

فيتلخّص مما سبق أنّ الزّنا نوعان: أوّلهما الزنا الحقيقي المعروف، وهو من أكبر الكبائر والذنوب، ويكون بوطء الرجل لامرأةٍ لا تحلّ له ليست زوجته، أما الثاني فهو

[111] [الرحمن: 46].

الزنا المجازي: كزنا اللسان، وزنا العين، وزنا اليد، وغير ذلك، فالزنّا كلّه محرّم، وأعظمهُ حرمةً هو الزّنا الحقيقيّ.

وللزنا آثار جسيمة وهو سبب لفعل المعاصي الأخرى كشرب الخمر، يضعف الإيمان في القلب، وذلك لِقول النّبيّ صلى الله عليه وسلم: **(من زنى أَو شرب الْخمر نزع الله مِنْهُ الْإِيمَان كَمَا يخلع الْإِنْسَان الْقَمِيص من رَأسه)**[112]، أي نزع منه كمال الإيمان وحلاوته وليس المعنى أنه صار كافرًا، لأن فعل الزنى من غير استحلاله من كبائر الذنوب لكنه لا يصلُ إلى حدّ الكفر، وهو سبب من أسباب نزول العذاب والمقت والعقاب المهين، فعن ميمونة أمّ المؤمنين زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **(لَا تَزَالُ أُمَّتِي بِخَيْرٍ مَا لَمْ يَفْشُ فِيهِمْ وَلَدُ الزِّنَا، فَإِذَا فَشَا فِيهِمْ وَلَدُ الزِّنَا، فَيُوشِكُ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِعِقَابٍ)**، وهو ثقيلٌ في ميزان السّيئات عند وقت الحِساب، وسببٌ مباشر في انتشار الأمراض الخطرة التي تفتك في الأبدان، وفيه شرٌّ كبير يعود على الإنسان وعلى المجتمع، وذلك لِما فيه من الظّلم والمعاصي والأمراض كالزهري والسيلان والإيدز ونحو ذلك، ويؤدي إلى فساد البُيوت وضياع الأُسر وتفككها، ويؤدي إلى التّشرد والجريمة والانحراف. الزنا نذير رعب وفزع، ونزع للبركات، وسبب في عدم استجابة الدعاء. وعن سمرة بن جندب رضي الله

[112] «فتح القريب المجيب على الترغيب والترهيب» (10/ 189).

عنه أن رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ كان ممَّا يُكْثِرُ أنْ يَقُولَ لأصْحابِهِ: **هلْ رَأَى أحَدٌ مِنكُم مِن رُؤْيا قالَ: فَيَقُصُّ عليه مَن شاءَ اللَّهُ أنْ يَقُصَّ، وإنَّه قالَ ذاتَ غَداةٍ: إنَّه أتانِي اللَّيْلَةَ آتِيانِ، وإنَّهُما ابْتَعَثانِي، وإنَّهُما قالا لي انْطَلِقْ، وإنِّي انْطَلَقْتُ معهُما، فأتَيْنا علَى مِثْلِ التَّنُّورِ – قالَ: فأحْسِبُ أنَّه كانَ يقولُ – فإذا فيه لَغَطٌ وأَصْواتٌ قالَ: فاطَّلَعْنا فِيهِ، فإذا فيه رِجالٌ ونِساءٌ عُراةٌ، وإذا هُمْ يَأْتِيهِمْ لَهَبٌ مِن أسْفَلَ منهمْ، فإذا أتاهُمْ ذلكَ اللَّهَبُ ضَوْضَوْا قالَ: قُلتُ لهما: ما هَؤُلاءِ؟ قال: وأَمَّا الرِّجَالُ والنِّسَاءُ العُرَاةُ الَّذِينَ في مِثْلِ بنَاءِ التَّنُّورِ، فإنَّهُمُ الزُّنَاةُ والزَّوَانِي**"، نسأل الله السلامة من الحرام، لا خير في لذّة من بعدها النّار، تذهب اللذات وتبقى الحسرات، قال الله سبحانه: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[113].

[113] [النور: 24].

التقليد الأعمى للغرب

تختلف وُجهات النظر حول "تقليد الغرب" ويظنّ البعض أنه سلبيّ في كل حال، ويذهب آخرون إلى أنه مستحسن مُطلقًا في كلّ أحواله، وكلٌّ من الفريقين لم يتخذ الاعتدال منهجًا علميًا مُتبعًا في نظرته وحكمه على هذا اللّفظ، فإن كان بالإمكان التوسّط للوصول إلى نتائج نافعة فنِعم الأمر، هذا بالحالات التي يسوغ أن يُحمل فيها اللفظ على أكثر من معنى مثل هذه اللّفظة، وليس الأمر بالمطلق. فتقليد الغرب منه ما هو حسنٌ ومنه ما هو قبيح، وآراء النّاس في هذا مختلفة اختلافا شديدًا والاعتدال في ذلك أن نرجع للشرع في تقييم الأمور وتفسيرها.

لا شكّ أن الغرب قدّم للمجتمعات العربية خدمات كثيرة خصوصًا على الصعيد العملي والعلمي، فمن خلال التكنولوجيا التي وصلها إليها وإسهاماته الكبيرة في تطوير مرافقها، استطعنا المضي قُدما في كثير من المجالات الصناعية والطبية مما سهّل علينا عملًا كثيرًا وساعدنا في التقدّم الذي وصلنا إليه وهذا ما كنّا لا نستطيعه لولا هذا التقدّم الذي توصّل إليه الغربيون، ولكن هل كلُّ ما قدّمه الغرب وصدّره لمجتمعاتنا كان مفيدًا؟ قطعًا لا، فكما أنه أفاد فقد أضرّ كذلك ويمكنني القول إن الضرر الذي ألحقه بنا أكبر بكثير من الإفادة التي قدّمها، فقد أثّرت ثقافته الغير منسجمة مع ثقافتنا

العربية وهويتنا الإسلامية في مجتمعات عربية بأكملها، مما أدّى إلى تغيّر الأحوال وتبدّلها على كل الأصعدة. ولم يستطع الغرب فعل ذلك إلّا بعدَ أن جعل طبقةً كبيرةً من المثقفين والمفكرين تابعين له قلبًا وقالبا مما أثّر بالأمة الإسلامية تأثيرًا سلبيًا عظيمًا.

إن عدم التوافق بين الثقافتين لا شكّ واضح يُميّزه ويعرفه كلّ لبيب، ومما يدفعنا كمجتمعات مُحافظة إلى عدم قبول الثقافة الغربية كما هي مُطلقا من غير قيود، هو أنها مختلفة عن عاداتنا وتقاليدنا ولغتنا وديننا. فالشريعة الإسلامية لها دور أساسي في التأثير المباشر على ثقافتنا سواء في البلاد العربية أو غيرها، وقد حصل في صدر الإسلام الأول أن تبدلّت عادات وتقاليد كثيرة عند القبائل العربية حتى تلائمت مع الشريعة الإسلامية وقوانينها حتى صارت راسخة عند أهلها، فكنت ترى على سبيل المثال "الربا" عادة عند العرب يستحسنونه ويعملون به، بل وبنوا ثرواتهم من خلال التعاطي به، ولما ظهر الإسلام في الجزيرة العربية بعد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم أبطله، كذلك وأد البنات وشرب الخمور أبطلتها القبائل العربية بعد أن كانت عادة لها وكلّ ذلك بفضل شريعة الإسلام، فلا يُمكن الجمع إذًا بين ثقافتين مطلقا خاصة أن المجتمعات العربية أساسُها التوحيد بخلاف المجتمعات الغربية التي أساسها التثليث، حتى إنّ العلمانية قد دخلت عليها في القرنين الأخيرين وأحدثت تأثيرًا كبيرًا على سياساتها، وهذا يُعد السبب الأساس والحاجز الرئيسي الذي يدفعنا إلى رفض كثير من الأفكار الغربية خاصة تلك التي لا تتفق مع الشريعة الإسلامية والعادات العربية، وهذا كله لا

يجعلنا بنفس الوقت نرفض كل ما يأتي من الغرب وأن نقول: "سنرفض كل شيء من الغرب مهما كان"، إن ما ينبغي أن نسلكه في اختياراتنا هو منهج الوسطية كما تقدّم مع التزام أبعد درجات الحذر والوعي.

إنّ النظام الذي نهجه المسلمون في بلادهم منذ مئات من السنين بأمان وسلام قد تغيّر الآن، وتبدّلت الأحوال من الأحسن إلى الأسوء، وهذا منذ أن بدأت العلمانية وأفكارها تغزو العالم الإسلامي منذ أكثر من قرن من الزمان، ولم تتمكن العلمانيّة إلا في بداية القرن العشرين الميلادي، حين قامت على أنقاض الخلافة العثمانية ثم سارت بأفكارها واعتقاداتها من خلال الكتب والجرائد والصحفيين والطبقة التي أطلق عليها فيما بعد "طبقة المثقفين" إلى أكثر بلدان العالم الإسلامي.

فيتلخص مما مضى أن التقليد للغرب له صور كثيرة وأنواع مختلفة وهو على نوعين:

النوع الأول: التقليد الممدوح أو الجائز: وهو ما كان موافقا للشريعة الإسلامية والفطرة السليمة ولا يخالفهما كاتبّاع الصناعات والابتكارات الموافقة للشريعة والاستفادة من العلوم الدنيوية التي توصلوا إليها من خلال دراساتهم وأبحاثهم.

النوع الثاني: التقليد الأعمى أو التقليد المذموم وهو ما كان مخالفًا للشريعة الإسلامية، وهو على قسمين: مخالف للسنة غير محرم، ومخالفٌ محرّم، فلا يجوز لأي

فرد أن يعمل عملا مُحرّما في دين الإسلام حتى ولو كانت كلّ الأمم الغربية متفقة على فعله، إنّ تقليد كل ما هو منافٍ للشريعة أمر في غاية الخطورة، نعم إن كان دون الحرام مما هو مكروه هو أخف ضررا من ارتكاب الإثم إلا أن في فعل المكروهات خطر عظيم كذلك. وللتقليد الأعمى الذي يؤثّر على مجتمعاتنا بالسّلب أمثلة كثيرة يصعب حصرها.

وللتقليد الأعمى غير المضبوط أسباب عديدة ودوافع متعددة منها:

- التربية غير المنضبطة بحيث ينشأ الطفل ويكبر دون رقابة وتوجيه.
- الانفتاح غير المقيد على ثقافات ومجتمعات أخرى.
- البعد عن الدّين وتعاليمه.
- انخداع الشباب اليوم بالمظاهر البرّاقة ظاهريًا.
- حبّ الظهور ولفت انتباه أكبر عدد ممكن من الناس.

والعلاج المناسب لهذه الظاهرة المدمرة كما مرّ سابقا هو التوسط والاعتدال وهذا لا يكون إلا باتباع الشرع الحنيف، يقول الله سبحانه: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ

اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾[114]، وقال سبحانه: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[115]، وقال سبحانه: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾[116].

وقد جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: **(لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَن كان قَبلَكم شِبرًا بشِبرٍ، وذِراعًا بذِراعٍ، حتى لو دخَلوا جُحرَ ضَبٍّ لدخَلتُموه)**[117].

وهذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم تحذير شديد على خطورة الأمر، وأؤكّد على ما ذكرته من قبل، وهو أن ليس كل اتبّاع للغرب مذموم مُطلقًا، وإنما يُذمّ من اتّباعهم ما جاء في الشرع ذمّه. وليعلم أن كثيرًا من الأشياء التي ظاهرها قد يبدو عاديًا لكثير من النّاس يكون سببًا في دمار أجيال بأكملها، كان أحدُ الأطفال يلعب بلعبة تحمل طابِعًا لجماعة مُعينة مُنحرفة، فلما أخبرتُ والده بأهميّة الانتباه لمثل هذه

[114] [الأحزاب: 21].

[115] [آل عمران: 31].

[116] [النساء: 59].

[117] «مسند أحمد» (16/ 375).

الألعاب، ضحك مستهزئا وقال لي: أنت تقول كلاما فارغًا، هذه مُجرّد لعبة، ليس فيها شيء، ولا تكبّر الموضوع لهذا الحدّ".

إن كان هذا تفكير الأب فماذا سيحصل بالأولاد؟ كيف سينشأون؟ ما هي الأفكار التي تُزرع في عقولهم؟ الكثير من الأسئلة تُطرح والأمثلة يصعب حصرها، فالحل هو الوعي المجتمعي الكامل، كان فيما مضى يُنبه الأطفال منذ صغرهم على أمور إذا نبّه أحد من هذا الجيل عليها لتعجبّ الطفل منه، بل وقد يعتبره بعض الأهل غريبًا جدًا مع كونه هو الصواب الذي ينبغي أن يكون عليه العمل.

أخبرني أحد الشباب أن عمّه الذي يعيش في دولة أوروبية جاء لزيارتهم مرة، قال لي: لقد تعجبنا كلنا من طريقة تربيته لأولاده فلا أخلاق تردعهم ولا دين يزجرهم، أرادت أمي أن تعلم ابنه الفاتحة فقال لها الأب –هداه الله–: "لا تعلميه لا أريد أن يتعلم"، ثم قال لي هذا الشاب: "ابنة عمي تنظر إلى أبيها وتسبّه أمام الكل، وهو ساكت لا يكلمها ولا يرد عليها".

إن التقليد الفوضويّ للغرب يجتاح عقول شباب المسلمين بشكل غريب وسريعٍ جدًا، كثيرٌ من العادات والتقاليد الغربية التي تدخل على مجتمعاتنا ظاهرها الموضة ومسايرة المدنية، ومواكبة الحداثة، وباطنها التمرد والتسخّط على كل ما يمتّ للتقاليد والأعراف العربية بصلة.

مثل هذه القصص كثير ولكن هل من معتبر؟ قيل لأحد الصالحين: هل بقي من ينصح؟ فأجب بقوله: وهل بقي من يقبل النصيحة؟ إنّ الأحوال تصير إلى الأسوء والأمور تتعقد، وأحد أكبر الأسباب التي أوصلتنا إلى هذه الحالَة هو التقليد الأعمى للغرب، لسنا مضطرين إلى تقليدهم في تسريحات شعرهم الغريبة ولا في أعيادهم المستحدثة ولا في عاداتهم الخاصّة بهم، لم أر في أوروبا أنهم يلبسون الثياب العربية أو يقلدون ثقافتنا الجليلة، فلماذا يلهث كثير من العرب غير المنضبطين إلى تقليدهم بهذا الشكل؟ صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قال: (**حتى لو دخلوا جُحر ضَبٍّ لدخلتموه**) وهذا الذي يحدث اليوم للأسف.

إن تقوية الوازع الديني عند أبناء المسلمين وتربيتهم التربية السليمة بحيث ينشأون على طاعة الله واتباع النبي صلى الله عليه وسلم وسيرته العطرة أمر ضروري جدا لأنه الحجر الأساس للإصلاح، فعلى كل وليّ أمر البدء بنشر التعاليم السليمة والآداب الإسلامية في بيته وأن يراقب سلوك أولاده ليُقوّمه تقويما صحيحًا من غير إفراط ولا تفريط، لا تُشعر ولدك بأنه مسجون مُقيّد، واعلم أن المراقبة لا تعني التخوين، إنما هي لحمايته. وهذا العمل المهمّ سيساعد في نشر الوعي والثقافة في المجتمعات وخاصة بين فئة الشباب حيث لو تمّ هذا الأمر لكان هؤلاء الشباب قد تلقّوا المفاهيم الصحيحة في بيوتهم فيقومون بنشرها من خلال شبكة علاقاتهم المتنوعة سواء على الصعيد الدراسي أو الوظيفي. وهذا من الأوامر الإلهية والتعاليم الإسلامية قال الله سبحانه

وتعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[118]، فهذه الأمة المحمّدية خير الأمم كما وصفها ربنا في القرءان الكريم، هي أمّة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا أمّة التقليد الأعمى وأخذ سخافات الآخرين وتقليدها، فلنصن هذه الأمة ولنحفظها كما أمر الله سبحانه وتعالى.

إننا أمام جيلٍ من الشباب استسلم أكثره لضعفه، ورضي بقدراته الضعيفة التي يمتلكها، فاختفت الدوافع تحت ما فُرض عليه من أمر الواقع، فصار يشعر وكأنه بلا هويّة فركض نحو ثقافات أخرى لعلّه يجد فيها مبتغاه وما يشعر أنه ينقصه كأنه في ظلمة يبحث فيها عن نور.

لما توجه كثير من الشباب للثقافات الغربية وجد أنها متصادمة بشكل كبير مع ثقافته وعاداته وتقاليده فعاد بعضهم متمسكًا بما كان عليه، وأما الآخرون فانقسموا إلى من حاول التوفيق بين الثقافتين بحيث يُقلّد ما لا يتصادم مع ثقافته –وكثير ممن سلك هذا الطريق انحرف بعد ذلك– وإلى من اختار الثقافة الغربية بكلّ أشكالها فانحرف عن جادة الحق بشكل كامل وقسم كبير من هذه الفئة تحوّل إلى محاربة الإسلام

[118] [آل عمران: 110].

مع مرور الزمن، وصار ينظر إلى المجتمعات العربية على أنها تعاني من إفلاس أخلاقي، واتباع سلبي، وشعور دوني، وتقليد همجي، وعجز تام، وشلل حقيقي.

هناك من استهوته الحياة الغربية وأكثرهم لم يسافر بعد ولا حتى تجول في تلك البلاد، بل إن كثيرا منهم وخاصة من تركوا الإسلام دينًا وجعلوا لهم الإلحاد منهجا صاروا يناشدون السفارات الغربية حتى على صفحات التواصل الاجتماعي ويطلبون منهم أن ينقذوهم زاعمين أنهم يُضطهدون ويلاحقون، بل ومنهم من صار يجمع التبرعات المالية ليخرج من بلده بأي طريقة، ومنهم ملحدٌ مصري بعدما أعلن إلحاده صار يخاطب السفارات بقوله: "إني مُضطهد وإنني مهددٌ بالقتل" وصار يخاطب النّاس لكي يتبرّعوا له بالأموال حتى يترك البلاد ويسافر إلى بلاد يعيش بها بلا خطر على حياته.

ينبغي أن نُعلّم هذه الأجيال أن التقليد الأعمى للغرب ليس من ضروريات المدنية والتحضر بل هو خطر كبير وله نتائجه السلبية على الحياة والدّين، لقد ذكرت مُسبقًا أنني لست ضد التقليد للغرب بشكل مطلق، إنما ضد التقليد الأعمى الذي فيه مصادمة مع ثقافتنا وهويتنا الإسلامية، من يريد التقليد الممدوح فليفعل لا بأس بذلك، لكن فليحذر الإنسان من الانحراف ومن فعل ما يصادم الشريعة الإسلامية.

لقد كنا أمّة قائدة ومؤثرة ورائدة تحكم العالم وتسوده بحسن السياسة والتدبير، كنّا المتصدرين في البحوث والدراسات والتنظيم، والآن وبعد هذا الضعف الذي أصاب هذه الأمّة لا ينبغي أن نبقى هكذا، ينبغي كأمّة تحمل منهجًا سليمًا وعقيدة جليلةً وثقافة غنيّة ومبادئ مصونة أن لا تبقى هكذا تُقاد وتُؤثّرُ بها أيّ موجة عاتية، لن تزداد الشعوب بالتقليد الأعمى والانهزامية إلا نكوصًا وتقهقرا. فما فسدت أحوال الأمم الغابرة إلا بسبب فساد العقول وتقليد من حاد عن طريق الحق قال الله تعالى: ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾[119]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ (69) فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾[120].

فإذًا التقليد الأعمى للغرب خطر عظيم هدفه استهداف عقول الشباب، هذا ما يُصرّح به الغربيون لكن ما أخفوه أعظم وأشد وأخطر، إن هدفهم الأساسي هو ضرب العالم الإسلامي بأكمله من خلال خطط وضعوها منذ عشرات السنين، وقد نفذّوا كثيرا منها وما زالوا يعملون على تنفيذ ما تبقى منها والعمل على خطط جديدة، فقد قاموا بتقسيم البلاد العربية ورسم الحدود فيما بينهم إلى حدّ النزاع وهذا لم يكن فيما مضى، فلما أمر أمير المؤمنين عُمر بن الخطاب ترسيم الحدود في بعض المناطق الكبيرة لم يكن بهدف منع الأطراف من البلد المجاور دخول البلد، ولم يحصل يومًا أن

[119] [المدثر: 45].

[120] [الصافات: 69-70].

قُتل أحد بسبب أنه دخل الحدود بغير إذن بوابها وحُراسها، لقد اشتغل الغرب على سلب البلاد العربية والإسلامية حتى ضعفّوا اقتصادها وأوقفوا إنتاجها، وسحبوا شبابهم المفكرين المثقفين والمنتجين والمتعلمين الجامعيين ونقلوهم إلى جامعاتهم ومعاهدهم وشركاتهم، وقاموا بتأسيس الجماعات المتطرفّة الإرهابية التكفيرية الشمولية في البلاد العربية بعد أن درّبوهم على السلاح والخطط التي ألزموهم بتنفيذها بهدف تضعيف البلاد وتقسيمها ونشر الفوضى فيها أكثر، فأبقوا في بلادنا الأفكار الشيطانية تغزو عقول شبابنا وتسحبه نحو شِباك الإرهاب البغيض، وبهذه الأعمال وغيرها تحولّت بلادنا من بلاد الحضارة والرقي إلى بلاد مُدمّرة بكلّ معنى الكلمة، فصار كثير من الشباب ينظرون إلى بلادهم هذه النظرة وينظرون إلى الغرب على أنها بلاد التحضر والتطور وهم على جهل تامّ بما يدور حولهم، فصاروا يرون في الحضارة الغربيّة ألوانًا جديدة من الحياة سلبت عقولهم وضيعت قلوبهم.

إن الاطّلاع على الثقافات الأخرى بغرض الاستفادة وتوسيع المدارك ليس مرفوضًا بشكل مطلق كما بيّنت سابقًا، لكن التقليد الأعمى الذي يسعى كثير من الناس وراءه حيث صار يُقلّد أي شيء لأنه غربي فقط، هذا هو المذموم، ولن تصل الشعوب به إلى التقدّم المنشود والنهضة المرجوّة إن كان هذا النوع من التقليد دأبها للوصول إلى ما وصل إليه غيرها، بل سيزيدها هذا ضعفًا وتراجُعًا وفُتورا. واعلم أنّه

ليس كل ما يأتي من تلك الثقافات مقبولًا فلا تجعلنّ الثقافة الغربية معيارًا للرقيّ والتمدّن، لأنها لم تكن يومًا كذلك، ولن تكون.

إن النظام الاجتماعي الذي هيمن على الحياة الأوروبية طيلة القرون الوسطى سُمّي بنظام "الإقطاع"، كان الحُكّام مع السلطة الدينيّة المسيحية في ذلك الوقت وكانت تلك الفترة من أكثر الفترات ضِيقًا وصعوبة على الشعوب الأوروبية من الناحية المعيشية والأمنية ونحو ذلك، وتُعتبر فترة حكمهم لدى الغربيّين من أبشع المراحل وأظلمها.

ففي الفترة التي كان فيها الشرق المسلم ينعم بالحياة السعيدة في ظل أفضل وأعدل وآمن مجتمع عرفه التاريخ، كان الغرب يرزح تحت نيّر هذا النظام البغيض، ولكن الأحوال اليوم تبدّلت والشعوب تغيّرت إلى الأسوء، والأجيال تأثرت تأثّرًا كبيرًا جدًا بالثقافات الضارّة، حتى صار من الصعب التحكّم بها وتوجيهها التوجه السليم.

إن الحلول كثيرة جدًا وبداية العلاج كما تقدّم تكمن في الالتزام أولًا بأحكام الدّين الإسلامي أي بتعلّمها وتطبيقها ليس بتعلمها فقط، وليس الحال هكذا اليوم، فأكثر المسلمين لا يهتمون اليوم بتحصيل العلوم الشرعية فضلًا عن تطبيقها، على المسلمين أن يهتمّوا في أمر دينهم وأن يجعلوه أولى الأولويّات، لا أن تُجعل التكنولوجيا والألعاب الالكترونية والنزهات الشعبية ومباريات كرة القدم هي أوّل ما يهتم به الشباب اليوم. ومن المطلوب كذلك تشجيع الشباب على الإنتاج وتوفير الفرص له لفعل ذلك،

فكثير من الشباب غرّته الحياة الغربية لأجل هذا، يقول الكثير من الشباب: "إن في الغرب فرصة لتفجير مواهبنا وإخراج طاقاتنا" فليُجعل لهم مكانا يُخرجون فيه هذه الطاقات والمواهب في بلادهم، ولا أشكّ أن كثيرين سيحوّلون أنظارهم ويغيّرون فكرهم نحو الغرب إن توفّرت لهم الفرص، إذ إن ما يشدّهم نحو تلك البلاد صار متاحًا في بلادهم، إن كثيرًا من الشباب يسافرون فقط لأجل تأمين لُقمة عيش كريمة من مال حلال، لينفقوا على أنفسهم وأهلهم فإن وجدوا هذه اللقمة في بلادهم فلن يتركوها لأجل حياة غربية غريبة عليهم، يبتعدون فيها عن الأهل والأصحاب والأحباب.

ارتفاع المهور وكثرة المُجون

وقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرة وخطب في النّاس وقال: (**ألا لا تغالوا صدقة النساء، فإنها لو كانت مكرمة في الدنيا أو تقوى عند الله لكان أولاكم بها نبي الله صلى الله عليه وسلم، ما علمت رسول الله صلى الله عليه وسلم نكح شيئًا من نسائه ولا أنكح شيئًا من بناته على أكثر من ثنتي عشرة أوقية**)، وفي رواية أبي يعلى قال: عن مجالد بن سعيد عن الشعبي عن مسروق قال : ركب عمر بن الخطاب منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: (**أيها الناس ما إكثاركم في صداق النساء وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وإنما الصَّدُقات فيما بينهم أربع مائة درهم فما دون ذلك، ولو كان الإكثار في ذلك تقوى عند الله أو كرامة لم تسبقوهم إليها فلا أعرفنَّ ما زاد رجل في صداق امرأة على أربع مئة درهم**، قال: ثم نزل فاعترضته امرأة من قريش فقالت: يا أمير المؤمنين نهيتَ النَّاس أن يزيدوا في مهر النساء على أربع مائة درهم؟ قال: **نعم**، فقالت : أما سمعت ما أنزل الله في القرآن؟ قال: **وأي ذلك؟** فقالت: أما سمعت الله يقول ﴿وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا﴾[121]؟ قال: فقال: **كل النَّاس أفقه من عمر**، ثم رجع فركب المنبر، فقال :

[121] [النساء: 20].

أيها الناس إني كنت نهيتكم أن تزيدوا النساء في صدقاتهن على أربع مائة درهم، فمن شاء أن يعطي من ماله ما أحب).

نستفيد من هذه الروايات أمورًا كثيرة وفوائد عظيمة منها جواز أن يزاد بالمهر ولو كان شيئا كثيرًا، فلم يُحرم الشرع ذلك، وقد توسّع الفقهاء في ذكر هذا الأمر في كتبهم وشروحهم، وذكروا أنّ النساء تتفاوت في هذه المسئلة من حيث الأفضلية لا الحرمة والمنع، فالمنسوبة الشريفة أي من كان جدها النبي صلى الله عليه وسلم والمتعلمة أمر دينها المتفقهة به والجميلة الحسناء ذات النسب والحسب ليس مهرها يكون كامراة غير منسوبة أو ليست متعلمة أو ليست جميلة، ولكن يجوز زيادة المهر على أي حال، ولم يُحدد الشرع مهرًا معيّنا يلتزم الرجل به، إلا ما ذكره الحنفية من شرط أن لا يقل عن نسبة معينة تُعطى للمرأة.

في أيامنا الحاليّة يُعتبر من أكثر القرارات ذات الأهمية التي يواجهها الأهل في الزواج هو كيفية تأمين المهر وتحديده، فالذي يُفكر بالزواج اليوم كأنه سيُقدم على حرب دَولية، كم سيجمع من المال وكيف يجمعه؟ وكم ساعات سيعمل خلال النهار؟ وهل يعمل أكثر من عمل؟ وربما ضيع الصلاة بسبب عمله –وليس عُذرًا له– بل وحال كثير من الشباب لا يُصلون ولا يصومون بسبب عملهم يقولون لك: نريد أن نتزوج وإذا عملنا لا نقدر أن نُصلي أو نصوم أثناء العمل –والحقيقة أنهم واهمون في

ذلك- وكثير من الشباب يلجأ للعمل بالحرام لأجل تأمين المال ليتزوج به، ولا بارك الله له في زواجه إن كان ماله من حرام، فتذهب بسبب ذلك البركة وينزل غضب من الله تعالى، فتنشزُ زوجته بعد ذلك إما بتغليظ قولٍ أو خيانة في فراش ونحو ذلك، وقد يطلع الأولاد من الفُسّاق المجرمين عند كبرهم، وهذا كلّه بسبب أكل المال الحرام.

أصبح اليوم المهر المرتفع واحدًا من أسلوب التفاخر والتباهي عند كثيرين، نظرًا لكونه يشير إلى أن العريس غني أو من الطبقات العليا، ويتباهى الأهل بذلك أمام العائلات الأخرى حيث يُقال: فلان فعل عرس ابنته بعشرة آلاف وفلان فعله بعشرين وفلان بخمسين، وكلّ هذا غالبًا للتكبر والتعجرف وإظهار أن هذه العائلة عندها مال كثير أو أن ذوقها في اختيار طريقة زواج ابنتها تناسب القرن الحالي والتكنولوجيا الحديثة، فأحدث ذلك شرخًا في الطبقات الاجتماعية، ومشكلةً متفشيّة، ذلك أن الحرام كَثُر والتعفف قلّ.

مع ارتفاع المهور كثُر الطلاق، حيث انقلبت الموازين وتغيّرت الأولويّات، وصار الاهتمام الأساسي لدى الكثيرين بالماديّات، فأكثر الآباء يسألون الشاب عن عمله وكم يربح وهل عنده شقة يملكها، بل وبعضهم يسألون عن مساحة الشقة وهل عندك

سيارة وهل هي جديدة أو لا، وبعضهم يسألون عن ما يُسمى "شهر العسل" هل سيفعله هذا الشاب وفي أيّ بلد؟ ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾[122].

أخبر شابٌ عن قصة حصلت معه قال: "تقدمت لخطبة فتاة تعيش في إحدى البلاد، فلما كنت أتحدث مع أهلها لأجل هذا الأمر، قالت لي الأم: صحيح أن ابنتي تعيش في الخارج وأنها لا تُفكر حاليًا بالرجوع إلى بلدها إلا أنني لا أعرف ماذا يحصل مع الأيام، فأريد أن أسال إن كنت تملك بيتًا في هذا البلد؟ قال الشاب: ليس لدي، ولا حاجة لذلك إن كنت لن أعيش في هذا البلد. فقالت الأم: ولكن أنا لا أريد لابنتي أن تعيش بتعاسة بحال رجعت إلى بلدها، لذلك أريد أن يكون عندك بيت ملك لك في هذا البلد بحال رجعت في يوم من الأيام مع ابنتي. قال هذا الشاب: خرجت من عند أهلها وتركت هذه السيدة وغيرت فكرتي بالزواج بها لعدم قدرتي على فعل ذلك، ثم قال: مضى على هذه القصة سنوات، إلى الآن لم تتزوج هذه السيدة بعد[123]، أسأل الله أن يُوفقها لكل خير". اهـ

وأخبرني أحد رجال الأعمال عن قصة عجيبة غريبة حصلت معه فقال: قبل أن أتزوج زوجتي كنت فقيرًا جدًا وكنت معروفا بفقري، وأردت الزواج بامرأة من شارعنا

---

[122] [البقرة: 156].

[123] إلى حين طباعة الكتاب.

أعرفها منذ الصغر وكنا نتحدث دائمًا، وكما هي الأصول تقدّمت مع أهلي للحديث مع أهلها وفاتحناهم بالموضوع، فسألت الأم عن عملي وبيتي ومسكني ونحو ذلك، ثم قالت: نجيبُكم إن شاء الله، وباليوم التالي اختفت المرأة من الحي وما عُدّت أراها أبدًا، فقلقت، فسألت أُمّها عنها فقالت لي الأم: "لا نريد أن نُزوجها إلا برجلٍ غنيٍّ يعرفُ قيمتها وليس بفقير لا يقدر أن يُسعدها"، ثم بعد ذلك وجدت امرأة قنوعة تبحث عن رجل يُفرحها ويُسعدها سعادة حقيقية لا مُزيفة، فتزوجتها ثم فتح الله عليّ بالرزق الأبواب الكثيرة. قلت له وماذا حصل بتلك المرأة التي ذهبت إليها أولا؟ قال لي: زوّجتها أمها فعلًا برجل غني، ولكنها عاشت حياة كئيبة من أتعس ما يعيش الإنسان، فإنه كان يضربها أشد ضرب ويُخرجها من بيتها منتصف الليل وهي مضروبة تبكي ويقول لها اذهبي لأمك، كان يضربها ويسمع صوتها كل الجيران لكن لا أحد يتدخل منهم لفكّ النزاع، كونه يعيش في مكان يعيش فيه الأغنياء مثله، الآن هي في بيت أمها منذ سنوات كثيرة لم يُطلقها ولا يريد أن يُرجعها إلى بيته. (لا حول ولا قوة إلا بالله). اهـ

أكثر الأغنياء اليوم قلوبهم قاسية ما فيها شفقة، المالُ أعمى أبصارهم وسوّد قلوبهم، قليل جدًا من الأغنياء قلوبهم فيها رحمة، قليل من يرحم الفقراء ويعينهم ويشفق عليهم، يقول الشاعر: [الوافر]

وَلَستُ أَرى السَعادَةَ جَمعَ مالٍ وَلَكِنَّ التَقيَّ هُوَ السَعيدُ

وَتَقوى اللهِ خَيرُ الزادِ ذُخرًا وَعِندَ اللهِ لِلأَتقى مَزيدُ

وَما لا بُدَّ أَن يَأتي قَريبٌ وَلَكِنَّ الَّذي يَمضي بَعيدُ

وورد في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (يَدْخُلُ الْفُقَرَاءُ الْجَنَّةَ قَبْلَ الْأَغْنِيَاءِ بِخَمْسِمِائَةِ عَامٍ)[124] فلا ينبغي أن يكون المعيار عند الأهل من الأغنى مالا، بل من الأغنى دينًا وأخلاقًا، قال الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[125]، فأكرم نفسك أيها الأب وأكرم ابنتك بأن تُزوّجها من يخاف الله فيها، ويعاملها المعاملة الحسنة.

[124] «سنن الترمذي» (4/ 578).

[125] [الحجرات: 13].

ولا شك أن ظاهرة المغالاة في طلب المهور واحدة من الظواهر التي تفشت بشكل كبير جدًا وهي في تزايد وارتفاع، وهذه الظاهرة وإن كان الأصل هو الجواز فيها إلا أن لها نتائج كثيرة منها:

- تأخر سن الزواج لكلٍّ من الرجال والنساء مما أدّى إلى انتشار الفاحشة.
- زيادة الخلافات بين الأهل وقد أدّى هذا الأمر إلى الاقتتال في كثير من الحالات ووقوع ضحايا.
- زيادة أعداد الشباب الذين يرغبون في الهجرة للزواج من الفتيات اللواتي يأخذن مهورًا أقل وكثيرا ما يكون من غير المسلمات.
- كثرة المشاكل الزوجية التي تؤدي إلى ارتفاع حالات الطلاق.
- استباحة المحرمات وميل الشباب للكسب غير المشروع من أجل ربح المال.

قصة وعبرة:

إن أغلى مهر في التاريخ هو مهر امرأة صاحبة رأي قوي سديد وحكمة بليغة، تعرف كيف تحقق النصر لدينها والانتصار لقيمها ومبادئها، امرأة عرفت قدرها وعظمة نبيها صلى الله عليه وسلم، هي أمُّ سليم بنت ملحان رضي الله عنها التي روى البخاري: **(أن رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ دَخَلَ علَيْهَا، فَاتَّكَأَ عِنْدَهَا، ثُمَّ ضَحِكَ فَقالَتْ: لِمَ تَضْحَكُ يا رَسولَ اللَّهِ؟ فَقالَ: نَاسٌ مِن أُمَّتِي يَرْكَبُونَ البَحْرَ الأخْضَرَ في سَبيلِ اللَّهِ، مَثَلُهُمْ مَثَلُ المُلُوكِ علَى الأسِرَّةِ، فَقالَتْ: يا رَسولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي منهمْ، قالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا منهمْ، ثُمَّ عَادَ فَضَحِكَ، فَقالَتْ له مِثْلَ – أَوْ مِمَّ – ذلكَ، فَقالَ لَهَا مِثْلَ ذلكَ، فَقالَتْ: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي منهمْ، قالَ: أَنْتِ مِنَ الأوَّلِينَ، وَلَسْتِ مِنَ الآخِرِينَ)**، قالَ: قالَ أَنَسٌ: فَتَزَوَّجَتْ عُبَادَةَ بنَ الصَّامِتِ فَرَكِبَتِ البَحْرَ مع بنْتِ قَرَظَةَ، فَلَمَّا قَفَلَتْ: رَكِبَتْ دَابَّتَهَا، فَوَقَصَتْ بهَا، فَسَقَطَتْ عَنْهَا، فَمَاتَتْ.

لقد تزوجت أم سليم رضي الله عنها في الجاهلية من مالك بن النضر النجاري، وأنجبت منه ولدًا طيبًا وهو أنس بن مالك رضي الله عنه خادم رسول الله، ولما أشرقت شمس الإسلام على الدنيا أسلمت مع طليعة من أسلم من الأنصار، وعرضت الإسلام على زوجها، لكنه أبى، وغضب منها، وظن أنها تجاوزت حدودها، وقال لها بغضب

بالغ: أصبوت؟ فقالت بيقين ثابت: ما صبوت ولكني آمنت وجعلت تلقن ابنها أنس بن مالك: قل: لا إله إلا الله، قل: أشهد أن محمدا رسول الله والولد يردد خلفها ما تقول، فيقول لها أبوه –من تكبّره وتعجرفه–: لا تفسدي عليّ ابني، فترد عليه بكل يقين: إني لا أفسده بل أعلّمه وأهذّبه.

وبعد موت زوجها رغب فيها رجال كثر، وطلبوا الزواج منها لكنها رفضت وقالت لا زواج إلا بعد أن يبلغ أنس مبلغ الرجال، ويصبح زينة مجالسهم، وحمل لها الابن البار هذا الجميل وكان يردد دائماً (**جزى الله أمي عني خيرًا، لقد أحسنت ولايتي**)، ولما اشتد عود أنس ذهبت أم سليم إلى معلّم البشرية رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت له: لا أملك شيئا أقدمه لك سوى ابني وطلبت منه أن يكون أنس إلى جواره، يخدم ويتعلم منه صلى الله عليه وسلم أمور دينه فوافق الرسول صلى الله عليه وسلم، فهي تريد تربية صالحة لابنها وكان لها ما أرادت حيث تعلم أنس على يد أفضل معلّم ومرب وأستاذ، يقول سيدنا أنس رضي الله عنه: (**خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين، فما ضربنى ضربة، ولا سبنى سبةً، ولا انتهرنى ولا عبس في وجهى**)[126].

[126] «مسند أبي يعلى» (5/ 361).

كان أهل المدينة المنورة ينظرون إلى أمّ سليم وابنها نظرة إجلال وتقدير، ورغب فيها كثير من الرجال، ووصلت سيرتها الطيبة إلى رجل من عليّة القوم وهو أبو طلحة فتقدم لها خاطبا، وكان رجلا مشركا في ذلك الوقت، وقال لها: لقد بلغ أنس مبلغ الرجال، ثم عرض عليها الزواج، فقالت له يا أبا طلحة، ما لمثلك أن يرد –لعلوّ مكانته في قومه وماله وشهرته وقوّته–، ولكنك رجل مشرك، وأنا امرأة مسلمة ولا يجوز لي أن أتزوجك، فقال أبو طلحة مُعرضًا لها بحالها وقلة مالها: أين أنت من الصفراء والبيضاء؟! وهو يقصد الذهب والفضة الذي سيقدمه مهرًا لها. فقالت أم سليم: لا أريد صفراء ولا بيضاء إنك امرؤ تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا، إن أسلمت فذلك مهري، ولا أريد صداقا غيره، فأسلم أبو طلحة الأنصاري وكان ذلك مهرها رضي الله عنهما وهو أغلى مهر بالتاريخ.

لذلك أُوجّه نصيحة للأهل وأولياء الأمور وهي أن يُسهلّوا أمور زواج أولادهم ولا يضعوا تلك الشروط الكثيرة المكلفة والتي بسببها صار كثير من الشباب لا يفكرون بالزواج مع حاجتهم وطلبهم لذلك، وقليل من يضبط نفسه ويمنعها عن الحرام، وما يجري في مجتمعاتنا اليوم من فضائح ومصائب ومشاكل ليس إلا نتيجة لهذا الأمر، وأؤكد لست ضد رفع المهور ولكن بحذر ورويّة ورحمة.

لقد تسبّب ارتفاع المهور بكثرة الزنى والمجون وهذا ليس تبريرًا للشباب أبدًا فإنه لو صار المهر ألف كيلو من الذهب لا يجوز لأحد أن يرتكب الزّنا، ولكنه واقع الحياة المرير فقد قلّت التقوى وعمّت البلوى وكثرت الشكوى، فليسهّل الأب زواج ابنته ولا يضع على الشاب شروطًا تُعجزهُ خاصّةً في هذا الزمن، فليكتف الأهل برجل يخاف الله رب العالمين، وهذا ما أرشدنا إليه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله:

(تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا؛ فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ)[127]، أي فخذ ذات الدّين، عليك بمن تخاف الله رب العالمين تؤدي ما افترض الله عليها وتجتنب ما نهاها عنه، يُنبّهك الرسول صلى الله عليه وسلم أنّ الأحسن والأفضل أن تأخذ صاحبة الدّين والخلق الحسن لا صاحبة الجمال والمال بدون دين، لو أخذت امرأة ليست فائقة الجمال ولكنها تخاف رب العالمين أفضل لك من أن تأخذ امرأة جميلة تفوق نساء عصرها بجمالها ولكنها لا تخاف الله سبحانه.

[127] «صحيح البخاري» (7/ 20).

التعصّب

إن الحديث عن التعصّب يحتاج إلى اعتدال في التفكير ووسطية في الشرح والبيان، فليس كلّ تعصّب مذمومًا كما يقول كثير من النّاس بكثير من المواقف، أسمع في بعض الأحيان من يقول: "التّعصب ممنوع، لعن الله المتعصبين" وأتعجّب كيف يُطلقون هذه العبارات على كل شيء، الإنسان إذا أراد أن يقول قولًا عليه أن يعرض كلامه على الشرع فإن وافقه فليقل وإلا فالصمت أفضل، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ**)[128]، وهناك العشرات من الأقوال المنتشرة في مجتمعاتنا تُقال على أنها أمثال تنفع وعلى أنها أقوال مأثورة عن الصحابة أو حتى أحاديث نبوية وهي في الحقيقة محضُ افتراء وكذب ومخالفة للشرع الكريم، منها على سبيل المثال العبارة التي ذكرتها آنفا، وسيأتي بيان ذلك.

التعصّب مصطلح كبير ومفهومه واسع وليس كما يذهب كثير من النّاس على أنه مذموم مُطلقًا أو ممدوح مُطلقًا، إن التطّرف الفكري لدى البعض دفعهم إلى وصف من يتمسّك بقواعد الشّريعة بالتّعصب على معنى أن ما يفعله مذموم، كمن يُكثر لا

[128] «موطأ مالك» (2/ 105).

سيّما في هذا الزمن من إنكار المنكرات والأمر بالمعروف أو يكون ملتزمًا بصلاته وطاعة ربّه ولا يعصي الله لأجل أحد، فيأتي بعض النّاس يقولون عنه: هذا متعصّب أو هذا مُتزمّت، والحقيقة أنهم هم المتعصّبون للباطل ومتزمّتون، لذلك رأيت أنه من المهم أن أبيّن المعنى الأعمّ للتعصّب حتى تتوسع المدارك وتتحسّن النظرة للأمور مما يقيم الميزان الفكري لدى الكثير.

قال ابن منظور: "العَصَبِيَّةُ والتَّعَصُّبُ: المحاماةُ والمدافعةُ. وتَعَصَّبْنا لَهُ وَمَعَهُ: نَصَرناه. وعَصَبةُ الرَّجُل: قومُه الَّذِينَ يَتَعَصَّبونَ لَهُ، كأَنه عَلَى حَذْفِ الزائدِ. وعَصَبُ الْقَوْمِ: خِيارُهم. وعَصَبُوا بِهِ: اجْتَمَعُوا حَوْلَه"[129]، وقد ذكر الإمام التفتازاني: "هو عدم قبول الحق عند ظهور الدليل بناء على ميل إلى جانب" وإلى هذا التعريف مال ابن أمير الحاج، قال المناوي: العصبية -المذمومة- وهي معاونة الظالم، فيؤخذ مما تقدّم أن التعصّب هو التجمع على شيء والتناصر عليه وهو على قسمين: تعصب ممدوح وتعصب مذموم. فما كان فيه نصرة للدّين والحق وبيان الأحكام الشرعية وتطبيقها فهو الممدوح كالتمسّك بأصول العقائد وعدم الميل عنها، وكالتمسّك بالعبادات كالصلاة والصيام ونحوه، ويُذم ما كان مخالفا للشريعة الإسلامية وتعاليمها كالدعوة إلى العصبية العِرقية التي ذمّها رسول الله صلى الله عليه وسلم بحيث يميل شخص إلى عِرقه فينصر

[129] «لسان العرب» (1/ 606).

جماعته ولو كانت على باطل، فعن جبير بن مطعم رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (**لَيْسَ مِنَّا مَنْ دَعَا إِلَى عَصَبِيَّةٍ، وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ قَاتَلَ عَلَى عَصَبِيَّةٍ، وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ مَاتَ عَلَى عَصَبِيَّةٍ**)[130]، وليس منّا أي ليس على طريقتنا الكاملة، الذي يعاون الظالم الذي من قبيلته على ظلم أخيه المظلوم من قبيلة أخرى أو بلد آخر أو لون آخر ظالم مرتكب للذنب ليس على طريقة الرسول صلى الله عليه وسلم.

التعصّب الممدوح: لقد دعانا الشرع إلى التمسّك بالشريعة والتعصّب لها بالدفاع عنها وأن نتخذ طريق الوسطية والاعتدال لا طريق الإفراط والتفريط، قال الله سبحانه: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[131]، ومما يدلّ على أن الشّرع حثّنا على التعصب له والمنافحة عنه قول الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[132]، وقوله صلى الله عليه وسلم: (**والذي نفسي بيدِه لتَأمرُنَّ بالمعروفِ ولتَنهوُنَّ عن المنكرِ أو ليُوشِكَنَّ اللهُ أن يَبعثَ عليكمْ عقابًا منهُ فتدعونهُ فلا يَستجيبُ لكمْ**) ولا شك أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

---

[130] «سنن أبي داود» (4/ 494).

[131] [البقرة: 143].

[132] [آل عمران: 110].

يتطلب صلابة موقف وحقيّة حجّة فلا يكون الأمر والنهي عن جهل ولا عن تكاسل، إنما يكون بالعلم والحزم والعمل الجدّي.

الرسول صلى الله عليه وسلم حثّنا على المعاملة المحمودة وعلى مقابلة السيئة بالحسنة بقوله صلى الله عليه وسلم لأبي ذرّ الغفاري: (**اتَّقِ اللهَ حيثما كنتَ وأتبِعِ السَّيِّئةَ الحسنةَ تَمْحُها وخالِقِ النَّاسَ بخُلقٍ حَسنٍ**)، وقال الله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾[133]. والإنسان ينبغي أن يُحكّم الشرع في معاملته للنّاس فينظر أيّ طريق يسلك معهم وأي أسلوب يعاملهم به، فليس من الحكمة أن تسبّ النّاس بغير حق أو أن تتهجم عليهم بلا برهان ولا أن لا تراعي المصالح العامّة، فانظر أين تكون المصلحة الشرعية وبناء على ذلك فاعمل. وكن على ذكر من قول الفقهاء الذين ألفوا في قواعد الفقه كالسيوطي والحافظ أبي سعيد العلائي شيخِ الحافظ العراقي وغيره حيث ذكروا قاعدةً من قواعد الإسلام المهمّة وهي: "**درء المفاسد مُقدّم على جلب المصالح**". فمن تعصّب للحق وتمسّك به ودافع عنه دفاعًا موافقًا للشريعة بحكمة واعتدال، لا يقال عن فعله هذا "**تعصّب مذموم**" بالعكس، بل هذا هو التعصّب الممدوح الذي ينبغي أن نتحلّى به، فتأخذنا الحمية نصرة لدين الله، نغضب لله ونرضى لله، كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل، فعن عائشة رضي الله

[133] [النحل: 125]

عنها قالت: (**ما انْتَقَمَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ لِنَفْسِهِ في شيءٍ يُؤْتَى إلَيْهِ حتَّى يُنْتَهَكَ مِن حُرُمَاتِ اللَّهِ، فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ**).

التعصب المذموم: له صورٌ كثيرة وأسباب متنوّعة وأصل كل ذلك عدمُ تحكيم الشرع واتباع الهوى المذموم، فيميل بعض النّاس إلى الرأي الفاسد إرضاء لنفوسهم المائلة للسوء ولمن ينتمون لهم من أحزاب أو أعراق ونحو ذلك، وليعلم أنّ أول المتعصبين لأصله هو إبليس وليس له ذلك، إذ إنه لم يقبل تفضيلَ الله لآدم عليه فاعترض على الله بقوله كما أخبر ربّنا جلّ جلالُه في القرءان العظيم: ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾[134]، فالعصبية المذمومة جند من جنود إبليس وسهم من سهامه وباب من أبوابه التي يدخل من خلالها لإفساد عقائد البشر.

أخبرني أحد الأصدقاء أنه كان في بلد إسلامي غير عربي فقال له أحد المتعصبين الملحدين: "أنا لم أؤمن بمحمد لأنه عربي، ولو كان من عرقنا لآمنت به" ولا شكّ أن هذا إلحاد وضلال وكفرٌ مبين، إن النبي صلى الله عليه وسلم بُعث إلى كافة العالمين، قال الله عز وجلّ في محكم التنزيل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[135] فأُرسل صلى الله عليه وسلم للناس قاطبة، أُرسل

[134] [الأعراف: 12].

[135] [سبأ: 28].

إلى عربهم وعجمهم، أبيضهم وأسودهم وأحمرهم، ولم يُرسل صلى الله عليه وسلم للعرب فقط. فهذا التعصب الشيطاني قد أوصل كثيرًا من النّاس إلى الضلال المبين.

وقد دفع التعصّب المذموم كثيرًا من الناس لارتكاب الجرائم والقبائح، ومنه ما حصل لصهيب بن سنان رضي الله عنه فإنه كان يُعذَّب حتى يفقد وعيه ولا يدري ما يقول، وكان أمية بن خلف يضع الحبل في عنق بلال رضي الله عنه، ثم يسلّمه إلى الصّبيان يطوفون به في جبال مكة ويجرونه حتى يؤثر الحبل في عنقه، وكان يخرجه في حر الظهيرة فيطرحه على ظهره في الرمضاء في بطحاء مكة، ثم يأمر بالصّخرة العظيمة فتوضع على صدره، ثم يقول له: لا والله لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى، فيقول وهو في هذا الموقف: أحد أحد، ويقول: لو أعلم كلمة هي أغيظ لكم منها لقلتها، وبقي على حاله حتى خلّصه سيدنا أبو بكر الصدّيق فاشتراه ثم أعتقه رضي الله عنهما، وعُذّب عمار بن ياسر رضي الله عنه بالحر تارة، وبوضع الصخر الأحمر على صدره تارة أخرى، وبتغريقه في الماء حتى يفقد وعيه رضي الله عنه، وعُذّب خباب بن الأرت رضي الله عنه بالنّار فكانت مولاته تأتي بالحديدة المحمّاة فتجعلها على ظهره أو رأسه ليكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم، وكان يُفعل مثل هذه الأفعال الشنيعة بالمستضعفين من المؤمنين حتى إنه كان كبار زعماء قريش يلبسونهم أدراع الحديد ويصهّرونهم في الشمس، ويجعلون الصبيان يطوفون بهم في شعاب

مكة ونواحيها تعذيبًا لهم وتنكيلًا بهم، وكلُّ هذا لأجل تعصّبهم الأعمى لدينهم الفاسد والمناصب الدّنيويّة الزّائلة.

ومن أنواع التعصّب المذموم ما يفعلُه بعض صغار العقول من البيض تجاه السود، فأيّ حماقة وجهل هذه أن يُعامل الإنسان بناءً على لونه، سيدنا بلال الحبشي كان أسود اللون ومع هذا فإن الإسلام أدّبنا وعلّمنا كيف ننظر إليه وكيف نعامله رضي الله عنه، فبعد أن كان عبدًا حبشيًا مُضطهدًا صار إماما سيدًا كريمًا وليًا صالحًا، كم من إنسان أسود اللون هو أفضل عند الله من ألف أبيض والعكس؟ وكم من باكستاني أو هندي أو تركي أفضل من ألف عربي والعكس؟ لم يدفع هؤلاء المشوّشين إلى هذه التصرّفات السيئة إلّا التعصّبُ المذموم والجهل القبيح.

فإذًا لا ينبغي ذمّ التعصّب مُطلقًا إنما يُتوقّف ويُنظر، فإن كان ما يُتعصّب له مما حثّ الشرع عليه ودعا إلى تطبيقه فلا بأس به بل هو مطلوب، وما كان مخالفًا ودعا الشرع إلى تركه فإن التعصّب له مذمومٌ. ثمّ إن أكثر ما يُتعصّب له في هذا الزمن مذموم بسبب تضييع الناس لحقوق الله والميزان الشرعي، وأكثر ما يُتعصب له اليوم بغير حق هم الأحزاب والجماعات الدينية غير المعتدلة والأعراق والقوميات.

الأحزاب والجماعات الدينية

إن الفرق التي تتحدث باسم الإسلام كثيرة جدا ومتفرّعة ويصعب حصرها في مثل هذا الكتاب، وكلّ فرقة منهم تدّعي أنّها الأصلح وصاحبة الدعوة الحقّة وأن من يخالفها شاذ، ولا شكّ أن من هذه الفرق فرقةٌ ظاهرة على الحق ثابتة عليه إلى يوم الدّين وهم من ثبتوا على نهج الرسول صلى الله عليه وسلم وطريقته وشريعته، وأما البقيّة فقد أَدخلوا البدع على طُرقهم ومذهبهم فخالفوا بذلك الأصول والفروع، وهذا مصداق قول النبي صلى الله عليه وسلم حين أخبر عن افتراق الأمّة أن فريقًا واحدًا من بين تلك الفرق سيدخل الجنة ويُخلد فيها، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسبْعِينَ فِرْقَةً، فَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَافْتَرَقَتِ النَّصَارَى عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، فَإِحْدَى وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ! لَتَفْتَرِقَنَّ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، فَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ وَثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ"، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ! مَنْ هُمْ؟ قَالَ: "الْجَمَاعَةُ**)[136]، وقد فصّل علماء الإسلام في بيان هذه الفرق ومعتقداتها كأبي منصور الماتريدي في الفرق بين الفرق والشّهرستاني في الملل والنحل وغيرهما كثير، والظاهر من هذا الحديث وغيره

[136] «سنن ابن ماجه» (ص839).

من الروايات التي وردت في هذا الشأن أنّ الفرقة الناجية يوم القيامة هم أهل السنّة الجماعة وهم السّواد الأعظم من الأمّة وهم الذين على النّهج النبوي وما كان عليه صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنّ ما عداهم من أهل البدع يستحقون عذاب الله لمخالفتهم عقيدة الأنبياء والمرسلين وما اتفقت عليه الأمة الإسلامية.

وكلّ فرقة من فرق أهل الأهواء يدّعون الحق ويدّعون إثبات حقيّة مذهبهم من الكتاب والسنّة، ومحاولتهم هذه واستدلالهم بالآيات أو الأحاديث ليس دليلًا على أن دعوتهم صحيحة، وهذا مأخوذ من قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ (8) يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (9) فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾[137] ومن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي ورد ذكره آنفًا.

كان هناك فيما مضى فرقة تسمى الباطنية يحتجون تارة بالقرآن وبالحديث تارة أخرى، وكذلك المعتزلة والخوارج كلٌّ يحتج بذلك، وهذا لا يجعلهم على حق، وقد اتفقت كلمةُ الأمّة جمعاء على أنهم من أهل الزيغ والبدع. فإن كلمت بدعيًا من هؤلاء قال لك: قال الله وقال الرسول صلى الله عليه وسلم، ويتبعهم بذلك كثير ممن لا ميزان لهم، قال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "**القرءان ذو وجوه**" أي في كثير من

[137] [البقرة: 8-10].

آياته احتمالات، وهذه الاحتمالات يزلّ فيها كثير من النّاس ولا يهتدون للمعنى المراد بها، بل يزيغون عن المعنى المراد منها، لذلك تجد المعتزلي يحتجّ بالقرآن في بعض مسائله، وكذلك الخوارج يحتجون ببعض الآيات والأحاديث، وحجتهم مردودة ولو لبسوا ثوب الورع، هؤلاء أقفل الله قلوبهم لا يعقلون، وهذه الفرق تعتقد بنفسها اعتقادًا جازما أنهم على حق –وهم بعيدون كلّ البعد عنه– فتراهم يتعصّبون لمذاهبهم وآرائهم ويدافعون عنها بشراسة ولو أدّى الأمر إلى قتل الآخرين وحرقهم وتدميرهم، فتجدهم قد اتخذوا من الإفراط والتفريط منهجا مُتبعا ومسلكًا أساسيًا في تعاملاتهم مع الأطراف التي تُخالفهم.

أما أهل السنة والجماعة وهم الفرقة الناجية التي أخبر عنها الرسول صلى الله عليه وسلم منهجها الوسطية والاعتدال لا الإفراط والتفريط، لم تتخذ من الظّلم والقتل والنّهب وسيلة لتحقيق أهدافها بخلاف الجماعات المتطرفة التي اتخذت منهج التكفير الشمولي للحكومات والشعوب كداعش وجبهة النصرة وما انبثق منهم في سوريا والعراق وليبيا وغيرها من البلاد، بل كانت –فرقة أهل السنة والجماعة– دائمًا في ميدان الوسطية والاعتدال كما قال ربنا جل جلاله في القرآن الكريم: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[138]، ولا شك أن الحقّ

[138] [البقرة: 143].

يُتعصّب له التعصّب الممدوح ويدافع عنه دفاعًا بغير إفراط ولا تفريط، قال جل جلاله: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾[139]، وقال:﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾[140]، ونصرة دين الله سبحانه تحتاج لتمسّك شديد به والدفاع عنه بالحكمة والموعظة الحسنة.

الأعراق والقوميات:

لم يستطع الغرب تفريق المسلمين باستخدام الحروب العسكرية على الدّين كوسيلة للقضاء عليه كما كان يعتقد، بل إنه لم ير من المسلمين إلا تمسّكا بدينهم وقيمهم بل ودفاعا شرِسًا عنه، ولكنه استطاع إيجاد نقاط الضعف للدخول إلى قلوب مريضة ونفوس ضعيفة، استطاع أن يفرق مجتمعات وبلادًا إسلاميةً كاملةً عن بعضها البعض مُستخدِمًا شتّى أنواع الوسائل التي أُتيحت له.

لقد شنّ الغرب على البلاد العربية والإسلامية حروبا عسكرية وسياسية واقتصادية وثقافية ودينيّةً بهدف السيطرة على البلاد وتغيير مسارِها، لأنه يعلم ويُدركُ جيدًا أن المسلمين إن كانوا أقوياء ومتّحدين على قلب رجل واحد فإن القوة العالمية ستكون لهم –وهذا الذي كان عليه المسلمون مُسبقًا– وليس للغرب الذي يحيك جميع

[139] [الإسراء: 81].

[140] [محمد: 7].

أنواع الحِيل والألاعيب للسيطرة على العالم، يعلم الغرب جيدًا أن للمسلمين قوة باتّحادهم لا يقف أمامهم عدوّ إلا استأصلوه عن بِكرة أبيه، ولأجل ذلك يعمل الغرب وما زال ليل نهار بلا توقف على زعزعة استقرار البلاد الإسلامية وتخريب علاقاتها السياسيّة، والتأثير على ثقافتها.

لقد استطاع الغرب أن يفرّق الإخوة في بلاد الشّام فرسم الحدود بين فلسطين والأردن ولبنان وسوريا، واستطاع بخبثٍ جعل الإخوة في المغرب العربي الإسلامي يتقاتلون على بضع الكيلومترات، وكذلك فعلوا في أكثر البلاد، في الوقت الذي فتحوا حدودهم البرية والبحرية لبعضهم البعض كما فعلوا في الاتّحاد الأوروبي وغيره، فيستطيع المواطن الفرنسي الدخول إلى ألمانيا وإسبانيا والبرتغال وإيطاليا وإيرلندا وهولندا والدنمارك والسويد وغيرها بدون تأشيرة بل وبدون الحاجة للوقوف عند حاجز شرطة الحدود فهو ليس موجودًا أصلًا. بالوقت الذي لا يستطيع المواطن اللبناني الدخول إلى سوريا بدون المرور عند الحواجز الأمنية وشرطة الحدود والعكس، ولا يستطيع المصريّ ولا العراقيّ ولا اللّبناني ولا السّوري الذهاب إلى الحجّ أو العمرة دون تأشيرة زيارة، نعم هذا مؤسف ولكنها الحدود التي رسموها لنا وفرّقونا بها.

ولم يكتف الغربيون في ترسيم الحدود وتقسيم البلاد، بل أشعلوا في قلوب الضعفاء حمية الجاهلية، وعملوا جاهدين على ترسيخ فكرة العرقية البغيضة. هل نسي

كثير من المسلمين أن النبي صلى الله عليه وسلم جعل الأفضليّة للأتقى وليست لنوعية العرق واللون والبلد؟ هل نسي الكثير النزاعات التي كانت قائمة بين العرب فيما بينهم فأنقذهم الله برسوله صلى الله عليه وسلم؟ قال سبحانه: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[141]، وعن جابر بن عبد الله قال: (**خطَبنا رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم في وسطِ أيَّامِ التَّشريقِ خُطبةَ الوداعِ، فقال: يا أيُّها النَّاسُ! إنَّ ربَّكم واحدٌ، وإنَّ أباكم واحدٌ، ألا لا فضلَ لعربيٍّ على عجميٍّ، ولا لعجميٍّ على عربيٍّ، ولا لأحمرَ على أسودَ، ولا لأسودَ على أحمرَ إلَّا بالتَّقوَى، إنَّ أكرمَكم عند اللهِ أتقاكم، ألا هل بلَّغتُ، قالوا: بلى يا رسولَ اللهِ، قال: فليُبلِغِ الشَّاهدُ الغائبَ**).

أليس يقرأ المسلمون قول الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[142]، فلماذا بعد كلّ هذا يعاملُ بعض من ينتمي لعرق وأصل معيّن غيرَه على أنّه الدّون؟ إن بلالًا الحبشي رضي الله عنه لم يكن أبيض اللون، ولم يكن سلمان الفارسي رضي الله عنه عربيًا، بل كان أول فارسي يُسلم، لكنّهما من السابقين الأولين

[141] [آل عمران: 103].

[142] [الحجرات: 13].

الذين قال فيهم الله عز وجلّ: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[143].

ولا شكّ أن الغرب مستمرٌ إلى يومنا هذا في محاولاته وألاعيبه لإغراق هذه الأمّة في بحور الدماء والتصارع القاتم، على العاقلين التنبّه وأن يكونوا على يقظة تامّة لما يجري من حولنا، لا يليق بأمّة النبي صلى الله عليه وسلم أن تسكت عن هذا الأمر العبثي، ينبغي لنا أن نشيع بين النّاس التعاليم الإسلامية الرشيدة، ولنا في كتاب الله وسنّة رسوله صلى الله عليه وسلم ومذاهب وأقوال العلماء المرضيين ما يكفينا، يقول الله عز وجل: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾[144]، وقال سبحانه: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[145]، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(إِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامَ الصَّبْرِ، الْمُتَمَسِّكُ فِيهِنَّ يَوْمَئِذٍ بِمِثْلِ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ لَهُ كَأَجْرِ خَمْسِينَ مِنْكُمْ»، قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللهِ، أَوَمِنْهُمْ؟ قَالَ: «بَلْ مِنْكُمْ»، قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللهِ، أَوَمِنْهُمْ؟ قَالَ: «لَا، بَلْ مِنْكُمْ» ثَلَاثُ مَرَّاتٍ أَوْ أَرْبَعًا)**[146].

---

[143] [التوبة: 100].

[144] [الإسراء: 9].

[145] [الأحزاب: 21].

[146] «المعجم الكبير للطبراني» (17/ 117).

إن الغرب لم يتوقف عن ألاعيبه ولن يتوقف، ولا يجوز السكوت عن تلك المنكرات التي تُشاع وتُنشر، بل يجب محاربة هذه المنكرات التي فيها دعوة إلى الفرقة والتنابذ والتقاتل. إنّ الأمّة الإسلامية اليوم بأشدّ الحاجة لتوحيد الصفوف ونبذ التطرف البغيض بكل أشكاله وأنواعه، وبحاجة إلى نشر الوعي والثقافة من خلال البرامج التعليمية التي على الحكومات أن تساعد بها كونها مسؤولة عن شعوبها، فقد قال صلى الله عليه وسلم: (**كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَعَبْدُ الرَّجُلِ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ، وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْهُ، أَلَا كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**)[147].

[147] «الأدب المفرد» (ص81).

العنصرية البغيضة

لا شكّ أن النّاس ينتمون لقبائل وشعوبٍ مختلفة ومتعددة تربطهم الكثير من الروابط، ولا تجد في هذا العصر الذي نحن فيه إنسانا من غير عائلة ينتمي إليها وأب ينتسبُ إليه، فالإنسان ينتمي لأبيه لا لغيره، قال النبي صلى الله عليه وسلم: **(مَنِ ادَّعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ غَيْرُ أَبِيهِ فَالْجَنَّةُ عَلَيْهِ حَرَامٌ)**[148]، أي لا يدخلها مع الأولّين إلا أن يكون مُستحِلًا للكذب، وقال عليه الصلاة والسلام: **(لاَ تَرْغَبُوا عَنْ آبَائِكُمْ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ أبيهِ فَهُوَ كُفْرٌ)**، قال الحافظ ابن حجر في شرح الحديث: الْمُرَادُ مَنِ اسْتَحَلَّ ذَلِكَ مَعَ عِلْمِهِ بِالتَّحْرِيمِ وَعَلَى الرِّوَايَةِ الْمَشْهُورَةِ فَالْمُرَادُ كُفْرُ النِّعْمَةِ وَظَاهِرُ اللَّفْظِ غَيْرُ مُرَادٍ وَإِنَّمَا وَرَدَ عَلَى سَبِيلِ التَّغْلِيظِ وَالزَّجْرِ لِفَاعِلِ ذَلِكَ أَوِ الْمُرَادُ بِإِطْلَاقِ الْكُفْرِ أَنَّ فَاعِلَهُ فَعَلَ فِعْلًا شَبِيهًا بِفِعْلِ أَهْلِ الْكُفْرِ"، ومعرفة الشخص لنسبه أمر في غاية الأهمية، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم عالما بأنساب العرب وقبائلهم وكذا أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه وغيرهم وبقي الأمر إلى يومنا هذا. قال الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ

[148] «مسند أبي داود الطيالسي» (1/ 163).

عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[149]، فمعرفة القبيلة التي ينتمي إليها الإنسان أو الأصل الذي ينحدرُ منه أمر في غاية الأهمية لا ينبغي أن يُترك لما يترتب عليه من أحكام، فالمنسوب مثلًا لا يقدر أن يأخذ من مال الزّكاة لأن الشرع منعه من ذلك، وأحلّ له أبوابا أخرى يأخذ منها، فمن لم يكن يعرف نسبه قد يأخذ ما ليس له إن كان شريفًا أي منسوبا جدُّه النبي صلى الله عليه وسلم.

إذًا، إنّ التمسّك بالأصل الذي أنت منه والانتماء إلى قبيلة وأن تُحبّها ليس أمرًا ممنوعا في الدّين، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم من أفضل القبائل والأنساب، ولكن لا ينبغي أن يتعدّى الأمر حدَّه، ولا أن يتجاوز الأصول، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بأن حبّ الإنسان للشيء يُعمي ويصم، أي بسبب حبك للشيء قد تُعمى بصيرتك عن الحق فتتمسك بالباطل لأجل حبّك لهذا الشيء، وهذا هو التعصب الأعمى، وهذا ما نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم.

على المسلمين أن يلجأوا للنور المبين وأن يتمسّكوا بالحبل المتين وسنة النبي العظيم صلى الله عليه وسلم، ومن الأساسيات التي دعا إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم –بعد التوحيد وأساسيات الدّين– التوحّد وترك الفُرقة والعنصرية البغيضة، ورُوي في ذلك أحاديث كثيرة عن النبي صلى الله عليه وسلم، منها قوله صلى الله عليه وسلم:

[149] [الحجرات: 13].

(**إِنَّ اللهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا، وَيَسْخَطُ لَكُمْ ثَلَاثًا: يَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، وَأَنْ تُنَاصِحُوا مَنْ وَلَّاهُ اللهُ أَمْرَكُمْ**)[150]، وقد حذّر رسول الله صلى الله عليه وسلم من دعاة الفتنة الذين يكونون سببا في تفريق الصفوف، فقال في وصفهم: (**دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا**). قُلْتُ [أي: حُذيفةُ]: يَا رَسُولَ اللَّهِ، صِفْهُمْ لَنَا. فقَالَ صلى الله عليه وسلم: (**هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا**). قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ: (**تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ**)، الشّاهد أن النبي صلى الله عليه وسلم أشار إلى حذيفة رضي الله عنه أن يلزم جماعة المسلمين في كلّ حال خاصة عند اشتداد الفتن، وألّا يلحق ركب المفسدين الذين يميلون إلى ساحة الشرّ. ومن رحمة الله بعباده أن جعل لهم مناسبات كثيرة يجتمعون بها كالجمعة والعيدين والحج ورمضان والاجتماع على حبّ النبي صلى الله عليه وسلم في عيد المولد النبوي المبارك والصلوات الخمس في المساجد. لم يترك الإسلامُ ثغرة للشيطان إلا سدّها وأمرنا بتركها وأرشدنا إلى كيفية فعل ذلك، فنهانا الله عن أشياء كثيرة كالغيبة والنميمة والكذب والبهتان والإفساد بين المسلمين وسبّهم أو ازدرائهم أو احتقارهم لما يترتّب بسبب ذلك من فساد.

[150] «مسند أحمد» (14/ 400).

إن الله تعالى خلقنا من نفس واحدة وهي آدم، قال سبحانه في القرآن العظيم: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[151] فالبشر يعودون للأبوين الأولين، آدم وحواء فهم أبناء رجل واحد وامرأة واحدة لكنهم بعد ذلك تفرّقوا في أوطانهم واختلفت ألوانهم وأعراقهم قال سبحانه: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[152]، فبعد أن بيّن الله لنا أنه هو خالق البشر وأنه جعلهم ذكورا وإناثًا، أكدّ جل جلاله على الأهمّ وبين التفضيل بينهم كيف يكون، وأنه لا بلون ولا بعرق ولا بشكل إنما هو بالتّقوى، وكتب السنّة النبويّة زاخرة بالأحاديث الشريفة عن النبي المعصوم صلى الله عليه وسلم التي تؤكد أهمية التقوى وأنها هي الأصل الذي يُزان فيه ويبنى عليه. فليس ابن المدينة أفضل من ابن الرّيف لأجل مدنيّته، ولا الأبيض أفضل من الأسود لأجل بياضه، ولا العربي أفضل من الأعجمي لمجرّد عربيته، ويُستدلّ لمثل هذا بقول الله سبحانه في القرءان الكريم: ﴿وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ

[151] [النساء: 1].

[152] [الحجرات: 13].

لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[153]، فالمؤمن التقي ولو كان مُستحقرًا عند النّاس وكان إذا طرق الأبوابَ دُفع أو دخل البيوت طُرد فإنّه عند الله خير ممن لم يؤمن بالله وخير ممن آمن ولم يكن تقيًّا، كما جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم: **(رُبَّ أَشْعَثَ أَغْبَرَ لا يُؤْبَهُ لَهُ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لأَبَرَّهُ)**[154]، وفي رواية: **(رُبَّ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ذِي طِمْرَيْنِ، مُصَفَّحٍ عَنْ أَبْوَابِ النَّاسِ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبَرَّهُ)**[155] وفي رواية: **(رُبَّ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ذِي طِمْرَيْنِ تَنْبُو عَنْهُ أَعْيُنُ النَّاسِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبَرَّهُ)**[156]، فالعبرة بما عند الله لا بما عند النّاس، فقد يكون الشخص عند الناس منبوذًا لو طرق بابهم، دفعوه ولكنّه عند الله من الصالحين الأتقياء، وكم من شخص مظهره مظهر المساكين ولكنه عند الله لا شيء، فقد قال الرسولُ صلّى الله عليه وسلم: **(أَيُّها النَّاسُ، إنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ –أي أن الله منزه عن النّقص– لا يَقْبَلُ إلَّا طَيِّبًا –إلا ما كان خالصًا له من العمل سبحانه–، وإنَّ اللَّهَ أمَرَ المُؤْمِنِينَ بما أمَرَ به المُرْسَلِينَ، فقالَ:** ﴿يَاأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾[157]، **وقالَ:** ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

---

[153] [البقرة: 221].

[154] «مسند البزار = البحر الزخار» (13/ 97).

[155] «المعجم الأوسط للطبراني» (1/ 264).

[156] «المستدرك على الصحيحين» (4/ 364).

[157] [المؤمنون: 51].

كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾[158]، **ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلى السَّماءِ، يا رَبِّ، يا رَبِّ، ومَطْعَمُهُ حَرامٌ، ومَشْرَبُهُ حَرامٌ، ومَلْبَسُهُ حَرامٌ، وغُذِيَ بالحَرامِ، فأنَّى يُسْتَجابُ لذلكَ؟!**).

فليس لأحد أن يُصنّف المسلمين على حسب ألوانهم وقبائلهم وبلدانهم ويجعل تصنيفه هو الأساس في حكمه عليهم، ومما يدعو إلى القلق والانزعاج أن أبناء البلد الواحد يسخر بعضهم من بعض ويفخر بعضهم على بعض، فيزدري هذا أخاه المسلم لأجل لونه أو شكله أو وضعه الاجتماعي أو لأن الحزب السياسي الذي ينتمي إليه غير حزبه. ونجد في كثير من بلادنا العربية أنّ قريتين متجاورتين يفتخر بعضهم على بعض بلون أو نسب أو غير ذلك بطريقة تؤدّي إلى التنازع والتباغض، وهذا من الأمور التي نهانا عنها الإسلام، وقد يحصل بينهم أحيانا تخاصم واقتتال وسفك دماء، وهذا من الأمور العظيمة التي أخلّت بالميزان ودهورت أحوال المسلمين.

نشر موقع "بي بي سي عربي" خبرًا قال فيه: "ما زالت العنصرية وأشكال التمييز المختلفة ضد السود والأقليات العرقية الأخرى، موجودة وما زالت تشهد الولايات المتحدة بين كل فترة وفترة مظاهرات واحتجاجات تصل أحيانا لأعمال عنف لمواجهة العنصرية والتمييز. وقال في خبر آخر: اشتبكت الشرطة في مدينة سياتل الأمريكية مع

[158] [البقرة: 172].

محتجين شاركوا في مسيرة لدعم الاحتجاجات المناهضة للعنصرية ضد السود في الولايات المتحدة، التي انطلقت في أنحاء البلاد يوم السبت، واستخدمت الشرطة مسدسات الصعق ورذاذ الفلفل لتفريق المتظاهرين وسقط متظاهر قتيلا في أوستن بولاية تكساس، خلال مسيرة احتجاجية تحت شعار "حياة السود مهمة"، والأخبار التي تتحدث عن مثل هذا مليئة بالصحف المحلية والعالمية، ويكاد لا تجد صحيفة إخبارية أو محطة تلفزيونية إلا وتذكر يوميًا مثل هذه الأخبار.

إنّ المشاكل التي تحصل في أميركا وغيرها بالآلاف وعمليات القتل المتعمد في العالم لا تُحصى، وكل هذا راجع إلى سياسة الغابات المنتشرة بين صفوف كثير من البشر، لا سيما عند غير المسلمين فإن نسبتها أكثر بكثير مما هو في مجتمعاتنا، ولولا أن الغرب قد صدّر لنا أفكاره الخبيثة وجماعاته المتطرفة ما كنا نرى في بلادنا هذه الأعداد الضخمة في صفوف القتلى. الإنسان إذا افتخر بإسلامه هذا عزٌّ له وشرفٌ أمّا لو افتخر بما هو حقير زائل فأي عزّ هذا؟ لا ينبغي لأحد أن يفتخر على أقرانه بماله أو جماله أو بما وُسّع عليه به، يتفاخر بما ليس له وهو تارك لأفرض الفروض وأحق الواجبات، إن العلاج الحقيقي هو الرجوع إلى الله بالتوبة والأعمال الصالحة والتمسّك بتعاليم الإسلام، وتطبيق القوانين الإسلامية التي سنّها لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، هذا هو العلاج الناجح والسليم لوقف الاقتتال والظلم.

التشبّه الممدوح والمذموم

قد جاء في القرآن الكريم التحذير الشديد من التعدّي على حدود الشرع قال الله سبحانه: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[159]، وقد فسّر الإمام البغوي رحمه الله معنى "الحدود" الوارد في الآية فقال: **(هذه أوامر الله ونواهيه وحدود الله ما منع الشرع من المجاوزة عنه)**. وعن أبي ثعلبة الخشني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **(إنَّ اللَّهَ فرضَ فرائضَ فلا تضيّعوها وحدَّ حدودًا فلا تعتدوها وسَكتَ[160] عن أشياءَ رحمةً لَكم غيرَ نسيانٍ فلا تبحثوا عنْها)**، ومن هذه الحدود التي يحرم على الإنسان أن يعتديها هو تشبه الرجال بالنساء وتشبه النساء بالرجال، وتُعدّ هذه المعصية من كبائر الذنوب، فقد قال العلماء في تعريف الكبيرة: (كلّ ذنب أطلق عليه بنص كتاب أو سنّة أو إجماع أنه كبيرة أو عظيم، أو أخبر فيه بشدة العقاب كالويل أو أنه يأكل في بطنه نارًا، أو علّق عليه الحدّ أو

[159] [البقرة: 229].

[160] أي لم يُشرع لنا.

شدد النكير عليه، وكذا كلّ ذنب ورد في القرءان أو الحديث، إن فاعله ملعون أو شُبّه فاعله بالكفر)، وليست الكبائر محصورة في حديث (**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ**)[161]

لأن النبي صلى الله عليه وسلم ما أراد حصر الكبائر في هذا الحديث، وقد ذكر العلماء الكبائر واختلفوا في عددها، فعن الزهري، عن ابن عباس، (**أنه سئل عن الكبائر سبع هي؟ قال: هي إلى السبعين أقرب**) وقد ذكر الإمام تاج الدّين السبكي خمسا وثلاثين منها ونظم السّيوطيّ رضي الله عنه ثمانية أبيات من الرجز:

كَالْقَتْلِ وَالزِّنَا وَشُرْبِ الْخَمْرِ ... وَمُطْلَقِ الْمُسْكِرِ ثُمَّ السِّحْرِ

وَالْقَذْفِ وَاللِّوَاطِ ثُمَّ الْفِطْرِ ... وَيَأْسِ رَحْمَةٍ وَأَمْنِ الْمَكْرِ

وَالْغَصْبِ وَالسَّرِقَةِ وَالشَّهَادَة ... بِالزُّورِ وَالرِّشْوَةِ وَالْقِيَادَة

مَنْعِ زَكَاةٍ وَدِيَاثَةٍ فِرَارْ ... خِيَانَةٍ فِي الْكَيْلِ وَالْوَزْنِ ظِهَارْ

نَمِيمَةٍ كَتْمِ شَهَادَةٍ يَمِينْ ... فَاجِرَةٍ عَلَى نَبِيِّنَا يَمِينْ

وَسَبِّ صَحْبِهِ وَضَرْبِ الْمُسْلِمِ ... سِعَايَةٍ عَقّ وَقَطْعِ الرَّحِمِ

[161] «صحيح البخاري» (3/ 1017).

حِرَابَةٍ تَقْدِيمِهِ الصَّلَاةَ أَوْ ... تَأْخِيرِهَا وَمَالِ أَيْتَامٍ رَأَوْا

وَأَكْلِ خِنْزِيرٍ وَمَيْتٍ وَالرِّبَا ... وَالْغَلِّ أَوْ صَغِيرَةٍ قَدْ وَاظَبَا

ويُعدّ تشبّه الرجال بالنّساء حرام من الكبائر وكذلك تشبّه النّساء بالرجال، فقد ورد في الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: **(إِنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم لَعَنَ الْمُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ، وَالْمُتَشَبِّهَاتِ مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ)**[162]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(لَعَنَ اللهُ الرَّجُلَ يَلْبَسُ لِبْسَةَ المَرْأَةِ، وَالمَرْأَةَ تَلْبَسُ لِبْسَةَ الرَّجُلِ)**[163].

فالرجال يختلفون عن النساء في الخِلقة والخَلق والقوة وغير ذلك، والنساء كذلك يختلفن عن الرجال في أشياء كثيرة، فمن يحاول من الرجال أن يكون مثل النساء أو من تحاول أن تكون مثل الرجال، لن يستطيع أبدًا ذلك، وقد حاول الكثير فعل ذلك، فصاروا طبقة ثالثة لا الرجال يعدونهم منهم من حيث الصفات ولا النساء يفعلن مثل ذلك.

---

[162] «مسند أبي داود الطيالسي» (4/ 400).

[163] «الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير» (3/ 13).

إن كثيرًا من النّاس لما حكّموا عقولهم –ولم يكن يومًا شرعُ الله يؤخذ من العقل كمصدر مستقل– ولم يلجأوا للشرع في قضاياهم خبطوا خبط عشواء، وصار الكثير يُقدم على فعل أشياء هي في الشرع حرام، لكن كونها في عرفهم عادات وتقاليد فيفعلونها ولا يقبلون منك النصيحة ولا يتراجعون عن تلك العادات إلا من رحم الله.

فما هو الضابط الذي نعرف منه ما أحلّ الله وما حرّم في هذه المسئلة؟

في اللغة يُقال: تشبّه بفلان، أي: تمثَّل به، أو اقتدى به، أو حاكاه، وتشبّه بالنّساء، أي: ماثلهنّ في حركاته وسلوكه أو لبسه، وتشبّه بالكرام، أي: صنع صنيعهم، والمشابهة تعني: التقاء شيئين أو أكثر في بعض الصّفات، وجاء في تعريفها كذلك أنها محاولة الإنسان أن يكون شبها للمتشبَّه به، في هيئته، وحُلّته، وصفته. والتشبّه بالآخرين على ضربين: تشبّه ممدوح وتشبّه مذموم:

التشبّه الممدوح:

تشبّه الإنسانِ بالصالحين ومحاولة أن يكون مثلهم في أخلاقهم وآدابهم ولُبسهم وكلامهم وتصرّفاتهم هذا أمر حسنٌ جميل، فالسعي في التشبّه بهم والتخلّق بأخلاقهم لا بأس به إطلاقًا، قال شهاب الدّين السهروردي: [الكامل]

فَتَشَبّهوا إِن لَم تَكُونوا مِثلَهُم إِنَّ التَّشَبّه بِالكِرامِ فَلاحُ

وقال الحارث المحاسبي رضي الله عنه: (من وهب الله لَهُ الْعقل وأحياه بِالْعلمِ بعد الْإِيمَان وبصّره بِالْيَقِينِ عُيُوبَ نَفسه فقد نظمت لَهُ خِصَال الْبر فاطلب الْبر فِي التَّقْوَى وخُذ الْعلم من أهل الخشية). ومما قيل: (أشرف ثمرة للعقل معرفة اللَّه تعالى، وحسن طاعته، والكف عن معصيته)، وقال الماوردي رضي الله عنه: (المنافسة غير الْحَسَد فَلَا بَأْس أَن ينافس الْأَكفاء فِي فضائلهم ويتشبه بالأخيار فِي محاسنهم، ويجتهد إِن لم يزدْ عَلَيْهِم أَن لَا يقصر عَنْهُم فَمَا تَكَامل فضل الأخيار إِلَّا بالاقتداء بالأخيار لِأَن لكل نفس فِي الْخَيْر حظًا مطبوعًا وحظًا مكتسبًا فَإِذا اجْتمعَا تَكَامل الْخَيْر بهما)، وهذا التشبّه الذي ينبغي أن يسعى إليه طالب الآخرة.

التشبّه المذموم:

وهو كذلك على قسمين: تشبه مكروه وتشبّه مُحرّم:

أما التشبّه المكروه: فكتقليد الآخرين بأفعال حَكَم الشرع بأنها مكروهة ليست مُحرمة، كتدخين السجائر فإن كثيرًا من الشباب صاروا يقلدون بعضهم في هذا الفعل المكروه، والمراد بالكراهة هنا الكراهة التنزيهيّة لا التحريميّة، وكفعل كثير من الشباب ما يُسمّى (السكسوكة) وهي حلق اللحية مع ترك شعر بشكل دائري عند منطقة الذقن، وكترك التسمية عند الوضوء، وكالسهر ليلًا بغير طاعة الله ونحو ذلك، فهذه الأمور مكروهة ليست محرّمة في الشرع، ولكن أنصح كل الشباب بترك ذلك وباتّباع سنة النبي

صلى الله عليه وسلم. نعم، صحيح أنّ فاعل المكروه لا ذنب عليه لأن المكروه هو: ما في تركه لله تعالى ثواب وأجر وليس في فعله عقاب، ولكن على أيّ حال ليس المكروه بالشيء الحسن، ومن تركه امتثالا لأوامر الله له الأجر والثواب.

وأما التشبّه المحرّم فهو كذلك على قسمين: تشبه الرجال بالنساء والعكس، وتشبه المسلم بالكفّار بما هو خاص بهم:

تشبه الرجال بالنساء والعكس:

إن لذلك صورًا وأنواعًا كثيرة منها: تقليد الرجلِ المرأةَ في مِشيتها والعكس، وتقليد الرجل صوت المرأة بترقيقه بحيث يصير يُشبه صوتها والعكس بحيث تقلد هي الرجال بتضخيم صوتها، وحلق المرأة شعرها كاملًا بغير عذر، ولبس الرجل الحرير بحيث يغلب على ثوبه، ولبس الرجل عقدًا من فضة حول عنقه أو في يده، ولبس المرأة حذاء الرجل أو نعله أو ثيابه الخاصة به والعكس، والحنّاء للرجل في اليدين والرجلين بلا حاجة، ونحو ذلك.

فإذًا، إن تشبه الرجال بالنساء وعكسه أي بما هو خاصّ بأحد الجنسين في الملبس أو المشي أو الكلام حرام، لكنّ تشبّه النساء بالرّجال أشدّ إثمًا، فما كان خاصًّا بأحد الصّنفَين من الزيّ فهو حرام على الصنف الآخر وما لا فلا، وذكر الفقهاء أنه لا يجوز للأهل أن يُلبسوا ولدهم ثوب البنات وبنتهم ثوب الصبيان، وكذلك يُمنعُ الصبي

إن فعل ذلك وحده، والمعصية على الأهل إن فعلوا ذلك ليس على الصبي لأنه ليس مُكلّفًا. ويكون التشبّه كذلك إذا عُرف الشيء أنه خاصٌّ بالنساء وبدأ بهنّ واشتهر أنه لهنّ وانتشر بينهنّ فإنه يحرم على الرجل استعماله.

ورد في الحديث عن عبد الله بن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**ثلاثةٌ لا يَدخُلون الجنَّةَ: العاقُّ لِوالِدَيه، والدَّيُّوثُ، ورَجُلةُ النِّساءِ**)، أي لا يدخلها مع الأولين ليس أنه نُفي عنهم الإيمان مُطلقًا، والدّيوث هو الذي يرى الزنى في أهله ولا ينكره مع قدرته على إنكاره أما إن عجز فلا يُسمى ديّوثًا، والذي يسمح لابنته البالغة أو أخته البالغة بالخروج كاشفة الرأس أو غير ذلك من عورتها هذا لا يُسمّى ديّوثًا كما يشيعُ بعض من لم يفهم الحديث، إن كان عاجزا عن منعهم من الخروج بهذا الشكل فلا معصية عليه، أما إن كان يقدر ولم يفعل فعليه معصية ولكن لا يُسمّى ديّوثًا، ورجلةُ النساء هي التي تقلّد الرجال سواء بصوتهم أو مشيتهم ونحو ذلك مما هو خاصّ بالرجال، وهذه المعاصي الثلاثة المذكورة في الحديث كلّها من الكبائر. قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في شرح هذا الحديث: قال الطبري: المعنى لا يجوز للرجال التشبّه بالنّساء في اللباس والزينة التي تختصّ بالنّساء ولا العكس.

ثم قال: وقال الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة نفع الله به ما ملخّصه: ظاهر اللفظ الزجرُ عن التشبّه في كل شيء، لكن عُرف من الأدلّة الأخرى أن المراد التشبّه في الزيّ

وبعض الصفات والحركات ونحوها، لا التشبّه في أمور الخير. اهـ وقوله (**لا التشبّه في أمور الخير**) ليس مُطلقًا بل يحتاج لتقييد، كالأذان فهو عمل خير وطاعة عظيمة لكنّ المرأة لا تُؤذّن، وهناك أمثلة وتفاصيل أخرى ذكرها الفقهاء في كتبهم.

وأخرج أبو داود في سننه عن أبي هريرة وأحمد في مسنده والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم: (**لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل يلبس لبسة المرأة والمرأةَ تلبس لبسة الرجل**). وعن ابن أبي مُلَيكة قال: قيل لعائشة رضي الله عنها إن امرأةً تلبس النعل فقالت رضي الله عنها: (**لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الرَجُلةَ من النّساء**).

وعند الطبراني أن امرأة مرّت على رسول الله صلى الله عليه وسلم مُتقلدة قوسًا فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (**لعن الله المتشبّهات من النّساء بالرجال والمتشبّهين من الرجال بالنّساء**). وكانت هذه المرأة تحمل القوس كما يفعل الرجال، وليس في الحديث أنه يحرم على المرأة حمل القوس.

قال النووي في روضة الطالبين ما نصّه: (يحرمُ على الرجال لُبسُ ما تلبس المرأة والعكس) اهـ. وفي كتاب الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام أحمد بن حنبل للمرداوي ما نصّه: (هذه المسألة وهي تشبّه الرجل بالمرأة والمرأة بالرجل في اللباس وغيره يحرُم على الصحيح من المذهب) اهـ.

تشبه المسلم بالكافر:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**مَن تَشبَّهَ بقَومٍ فهو منهم**)، ومن هذا التشبّه وأمثلته من تزيّا من المسلمين سواء من الرجال أو من النساء بزي الكفار أو سار بسيرتهم في ملبسهم وأفعالهم المخالفة للشرع فهو منهم أي يشبههم عليه معصية ويستحق عذاب الله، وليس معناه أنه صار كافرًا بمجرد فعله ذلك.

وقال صلى الله عليه وسلم: (**لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ**). **قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: (فَمَنْ)؟**)[164].

وهذا من دلائل نبوّته صلى الله عليه وسلم، فقد أخبر أنه ستحصل بعده فتن منها أن كثيرًا من المسلمين سيتشبّهون بالكفار بأفعالهم وحركاتهم وأقوالهم، وهذا الحديث إخبار مع إنكار وذم منه صلى الله عليه وسلم لما سيحصل، فقد كان المصطفى عليه الصلاة والسلام يدعو إلى التمسّك بكتاب الله وسنته صلى الله عليه وسلم ويؤكّد على ذلك في كثير من خطبه وإرشاداته وتعاليمه.

[164] «صحيح البخاري» (3/ 1274).

والتشبّه بالكفار وتقليدهم منه ما هو كفر كلبس الصليب تعظيمًا له، أو السجود لصنم ولو بغير قصد عبادته، بمجرد أنه سجد لصنم أو شمس أو قمر يكون ذلك كفرًا.

ومن التشبه بالكفار ما هو دون الكفر من الحرام كتقليدهم في أعيادهم الخاصة بهم ومن أمثلة ذلك ما يُسمّى اليوم (بأعياد الميلاد) وشراء بعض المسلمين ما يُسمى (بالبربارة) فإنه لا يجوز شراؤها ولو في غير عيدهم لأن هذا تشبهًا بهم، ومن ذلك ثقب المرأة أذنها أكثر من ثقب فإنه حرام لأنه تشبه بالكفار، أما ثقبها ثقبًا واحدًا فإنه يجوز، وكضرب بعض المسلمين عند شربهم العصير ونحوه الكؤوس ببعضها قبل الشُرب فإنه يحرم ولو كان من باب المزاح، وكوضع بعض النساء حلقة في سرتها حرام لأنه تشبه بالكفار والفاجرات.

فالإنسان العاقل الذكي يبحث عما هو حسن في شرعِ الله ليتبعه ويتعلم ما هو قبيح ليجتنبه، فالشرُّ يُتعلمُ لتجنبه لا للوقوع فيه، كما كان حذيفة بن اليمان رضي الله عنه يفعل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد قال حذيفة: (**كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني**)، فالعاقل يسعى ليتعلم ما أحلّ الله وما حرّم ويجاهد نفسه في تطبيق ذلك، فإن الجنّة غالية تحتاج لتعب في الدنيا، يتعب الإنسان قليلًا ليستريح كثيرًا، قال صلى الله عليه

وسلم: (**حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ، وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ**)[165]، وقال صلى الله عليه وسلم: (**مَنْ خَافَ أَدْلَجَ، وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ الْمَنْزِلَ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللهِ غَالِيَةٌ**)[166].

[165] «مسند أحمد» (21/ 248).

[166] «سنن الترمذي» (4/ 241).

ظاهرة خلع الحجاب

لما نزلت آية فرضية الحجاب التزمت المسلمات المؤمنات بها ولم يترددن طرفة عين في التزام أمر الله سبحانه، فقد ذكر السيوطي عن مقاتل بن حيان أنه حدث: أن (أسماء بنت مرشدة) كانت في محل لها في بني حارثة، فجعل النساء يدخلن عليها غير متأزرات فيبدو ما في أرجلهن من الخلاخل، وتبدو صدورهن وذوائبهن، فقالت أسماء: (ما أقبح هذا). فأنزل الله: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾[167]، وعن صفية بنت شيبة أن عائشة رضي الله عنها كانت تقول: لما نزلت هذه الآية ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾[168]أخذن أُزُرَهن (نوع من الثياب) فشققنها من قبل الحواشي فاختمرن بها.

هكذا كان حال المؤمنين والمؤمنات أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث التزموا بالشرع ووقفوا عنده، وامتثلوا لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد قال

---

[167] [النور: 31].

[168] [النور: 31].

سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[169]، وعلى هذا الحال بقي المسلمون، ولكن ما إن توسعت الفتوحات الإسلامية وانتشر نور الإسلام في الأرض تبدلّت الأحوال، ودخلت على المسلمين العادات الجديدة التي كانوا لم يألفوها من قبل، ولقد كان سيدنا عمر رضي الله عنه كثيرًا ما يخشى ذلك على المؤمنين، بل كان يشترط على الأمراء والقادة التي يوليهم أمورا لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يشترطها عندما يولي أحدا، ولا أبو بكر الصديق فعل ذلك، فلم نجد في فعله صلى الله عليه وسلم حين أرسل أبا موسى الأشعري إلى اليمن ما فعله عمر بن الخطاب حين كان يولي أحدا على جهة من الجهات، ولم يكن فعل عمر رضي الله عنه إلا لخوفه على المسلمين من الركون إلى الدنيا ونسيان الأساس الذي تعبّدنا الله به، فعن عمارة بن خزيمة بن ثابت قال: كان عمر رضي الله عنه إذا استعمل رجلا أشهد رهطا من الأنصار وغيرهم، واشترط عليه أربعًا: أن لا يركب برذونًا، ولا يلبس ثوبًا رقيقا، ولا يأكل نقيًا، ولا يغلق بابًا دون حوائج الناس. هذا لفظ القاضي أبي يوسف في كتابه الخراج، وزاد شرطًا خامسًا وهو ألا يتخذ حاجبًا عند بابه.

[169] [الأحزاب: 36].

والكلام حول هذه الشروط الخمسة كثير ليس هنا محلّ شرحه، إلا أنّ هذه الشروط ليس إلا حفاظًا من عمر رضي الله عنه لرعيته لأنها بداية طريق للنزوح للدنيا، فالبرذون دابّة من فصيلة الخيليّات، ضخم الجثة، غليظ الأعضاء، يتبختر عند مشيه، والثوب الرقيق كان من عادات العجم وكان يدل في ذلك الوقت على التنعم عند أهل الدنيا، والأكل النقي أي المختار من أصناف مُعينة دون أكل الرعية، وإغلاق الباب دون حوائج الناس أمر كرهه عمر رضي الله عنه لما فيه من ركون للراحة وهذا ما يُعارض الوظيفة التي أوكلت إليه.

وأرجع الآن للموضوع الأساس الذي بدأت به، فكم أشعر بالحزن عندما أعلم أن فلانة من بنات المسلمين خلعت ثوب الوقار والستر الجميل، وكم هو مؤلم أن ترى من كانت ملتزمة بالسّتر الشرعي أمس قد خلعت حجابها اليوم وكشفت ما كان مستورًا، يمرُّ المسلمون اليوم بموجة غربيّة غربيةٍ تجتاح المجتمعات بقوة، أتظن تلك النساء أن الحجاب مجرد موضة؟ أولم يعرفن أنه فرض من رب العباد؟ ألم يعلمن أنه من الأمور المسلَّمات التي فرضها الله وأكدّ عليها الرسول صلى الله عليه وسلم؟

إن ستر العورة ليس مسألة رأي يدفعك للخيار: هل أضعه أم لا! إنه فرض إذا فعلته من يجب عليها امتثالًا، لها الأجر والثواب، وإن لم تفعله بغير عذر شرعيّ عليها الإثم والحرام، الحجاب تاج على رؤوس النساء، ولم يكن الرقي يومًا في التعري.

فلا تغتري يا أختي ولا تنفتني باللواتي ضحك عليهن الشيطان وغرّهن، فإنهنّ لا يعرفن مصلحتهن، بل سلّمن أنفسهن للشيطان الرجيم وألاعيبه فأغواهن. للأسف لم يكتف الشيطان بجعل الكثيرات يخلعن الحجاب، بل وسوس لهنّ فأقدمت الكثيرات على ارتكاب محرمات أخرى. أنا لا أقول عن كل امرأة غير محجبة هي مرتكبة للكبائر والفسق العظيم كما يفعل بعض الجاهلين حيث مجرد ما رأوا فتاة غير محجبة أساؤوا الظنّ بها وقالوا هذه تفعل الفواحش العظام، هذا لسوء فهمهم وإساءة ظنّهم بالمسلمات، أحيانًا تجد محجبات تاركات للصلاة أو مانعات للزكاة، وتجد بعض غير المحجبات من المسلمات من تدخل لغرفة أو قاعة أثناء عملها وتلبس ثوب الصلاة وتصلي ولما تدخل بيتها تصلّي، وتجد محجبات عندما يقابلن شابًا لا يحل لهن مصافحته يتسارعن لمصافحته وتقبيله حتى، وعلى العكس تجد بعض غير محجبات إذا أقدم رجل لا يحل لهن مصافحته ليصافحهن يمتنعن.

القصد من وراء هذا ليس فقط الحجاب لمجرّد أنه لباس يُغطى به جزء من البدن، مع كونه فرضًا على المرأة الحرّة البالغة، إنما القصد الأعظم هو الامتثال لأوامر المولى سبحانه، أنصح كل امرأة غير محجبة أن تلتزم بتعاليم دينها وتستر عورتها فهذا هو الأصلح لها.

ومن هنا سأنطلق لإلقاء الضوء على بعض ألاعيب الشيطان، فإن له أساليب عجيبة وأسلحة فتاكة، قد يبدأ مع المرأة بخلع الحجاب ثم يُسهّل لها أمورًا أخرى أكثر وأكثر، طالما هذه المرأة أطاعت الشيطان مرة فلماذا لا تطيعه أكثر من مرة؟ إن الشيطان يرضى عن مثل هذه الأفعال التي تفعلها كثير من النساء، كما أنه يرضى عما يفعله كثير من الشباب اليوم، وله أساليب متنوعة جدًا، قد لا يبدأ بالأمور العظام مع ضحيته لأنه صار عنده معرفة بذلك.

قد ينحصر الأمر بالنسبة لمن خلعت حجابها فقط على خلعه ولا تتمادى أكثر ومع ذلك فإنّ حكم الشرع بفعلها هذا أنه حرام. وقد تقول قائلة: ما هذا الكلام؟ من قال إنني لما خلعت حجابي سأفعل الحرام الكثير أو الفسق والفجور؟ أقول: لم يقل أحد من الفطناء بذلك من باب الجزم، وإنما أليس خلع الحجاب معصية لله؟ هذا يكفيك، وعليك أن تخجلي لأنك عصيت ربك سواء عصيت الله بخلع الحجاب أو بغير ذلك، اللوم لمعصيتك لله فلا يرضى المسلم السويّ لك أن تعصي الله كما لا يرضاه لنفسه، نحن لا نريد لك إلا الخير كما أننا نريده ونتمناه لكل مؤمن، اذهبي واخرجي وتعلمي واعملي وكلي واشربي وامرحي وافرحي ولكن ضمن حدود الشرع الكريم، كما أنه على الرجال أن يتقوا الله في أنفسهم وأن لا يتعدوا حدود الله كذلك عليكِ أنتِ الالتزام وعلى كل مكلف ذلك.

قالت إحداهن: خلع الحجاب ليس من كبائر الذنوب إنما من الصغائر، والله غفور رحيم.

فقلت: نعم صحيح ليس من كبائر الذنوب، ولكن هل معصية الله أمر هين! أليس تجنبُ معصية واحدة خير من فعل آلاف الحسنات؟ لماذا ننظر إلى حجم المعصية ولا نتفكّر بعظمة من نعصي؟ يكفي أنه ذنب ومعصية لله، قال أهل الفضل: (لا تنظر إلى صغر الذنب ولكن انظر إلى عظمة من عصيت)، أليس سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي أمرنا أن نتجنب الصغائر والكبائر وأن لا نعصي الله أبدًا وأن نطيعه جلّ جلاله؟ فعن سهل بن سعد أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: (**إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ، فَإِنَّمَا مَثَلُ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ كَقَوْمٍ نَزَلُوا فِي بَطْنِ وَادٍ، فَجَاءَ ذَا بِعُودٍ، وَجَاءَ ذَا بِعُودٍ، حَتَّى أَنْضَجُوا خُبْزَتَهُمْ، وَإِنَّ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ مَتَى يُؤْخَذْ بِهَا صَاحِبُهَا تُهْلِكْهُ**)[170]. فحق الإنسان أن يراعي نفسه في الابتداء، ولا يترخص في ارتكاب الصغائر فيؤديه ذلك إلى ارتكاب الكبائر.

[170] «مسند أحمد» (37/ 467 ط الرسالة).

قال يزيد بن الحكم: [مجزوء الكامل]

وَاعلَم بُنَيَّ فَإِنَّهُ بِالعِلمِ يَنتَفِعُ العَليمُ

إِنَّ الأُمورَ دَقيقَها مِمّا يَهيجُ لَهُ العَظيمُ

فاحذر أخي واحذري أختي من مصائد الشيطان الكثيرة، فإن الشيطان عدو وعلينا أن نتخذه عدوًا لنا كما أمرنا الله في القرءان الكريم: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾[171]، فلا تطيعوه، بل اتخذوه عدُوًّا حتى يصلح اللهُ حالنا ويجعلنا وإياكم من الصالحين، نسأل الله أن يجعلنا وإياكم منهم.

لقد أمر الله سبحانه المرأة الحرّة البالغة بالحجاب ومزيد التستّر فقال سبحانه: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾[172]، وقال سبحانه: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾[173]، وقد جعل الله تعالى التزام الحجاب عنوانًا للعفة فقال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ

[171] [فاطر: 6].

[172] [النور: 31].

[173] [الأحزاب: 33].

فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾[174]، فلا يتعرض لهن الفساق بالأذى، وكما بينت من قبل، أنّ الأصل في الأمور الالتزام بسنّة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي قال: (**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى**)، قالوا: يا رسول الله ومن يأبى؟ قال: (**من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى**).

فلا ينبغي أن تلتفتي أختي المسلمة إلى ما يُشاع من أخبار وتُرّهات حول الحجاب وأنه يغطي جمالك فهذا كذب وتشويش لأن الحجاب تاج يزيد المرأة جمالًا، وليس كما ينشر الملحدون والمغرضون أنّه يمنع من تقدّم المرأة في مجال العمل والدراسة فهذا لغو وكلام مرفوض، فلم يكن الحجاب يومًا عائقًا حقيقيًا لتقدّم المرأة، إذا نظر الواحد منا نظرًا سديدًا وراقب أحوال السيدات العاملات علم أن ما يشيعه هؤلاء كذب محض، فإن السيدات المحجبات عاملات في كثير من المجالات السياسية والاقتصادية بل حتى الصناعية وغيرها.

إن المشكلة ليس في الحجاب نفسه بل في كثير من المجتمعات الفاسدة التي لا تتقبّل الحجاب وهي نفسها تنادي بصوتها العالي قائلة: "نحن بلاد الحريّات" ونحن

[174] [الأحزاب: 59].

"بلاد الديمقراطية"، كيف تنادي بهذه الشعارات وهي تحارب الحجاب ولا تريده بل وضعت القوانين الكثيرة لمحاربة الحجاب بشكل مباشر؟

انطلقي أختي في حجابك وأنت فخورة بما تصنعين، تقدّمي وتعلّمي وحصّلي الشهادات العالمية بما يعود بالنفع عليك وعلى مجتمعك، وكوني قدوة لغيرك من النساء حتى يثبتن على الالتزام بالحجاب أو حتى تضعه من كانت حاسرة أي غير محجبة، وانشري بين الناس دائمًا واجعلي ذلك شعارًا ترديديه في كل مجلس وموضع وقولي دائمًا: (إن الحجاب لم يكن في يوم من الأيام عائقًا للنجاح، بل هو رمز للعفاف والتقدّم).

البطالة

من المعضلات الاجتماعية المنتشرة في هذا الزمن "البطالة" والتي تعتبر من الأمور التي تستنزف قوى المجتمعات وتضرب أمنَها واستقرارها، ليس لمجرد عدم وفرة فرص العمل، وإنما لما ترتب على هذه المعضلة من أمور أدت إلى ذلك، وتُعد البطالة إحدى الأمور الأساسية التي تؤثر في اقتصاد الدول، ومما لا نزاع فيه أن الدول الأقوى اقتصاديا هي الأقل بطالة والعكس.

وبغض النظر عن التعريفات الكثيرة للبطالة وللعاطلين عن العمل إلا أنه بالاتفاق هناك من يعمل وهناك من لا يعمل، وذكرت صحيفة أسوشيتد برس: (أن البطالة هي عدم الحصول على فرصة عمل على الرغم من توفر القدرة عليه ومداومة البحث عنه، وهي ظاهرة اقتصادية تنتج عن اختلال التوازن في سوق العمل الذي يشهد فائضا في الطلب مقارنة بفرص العمل الموجودة).

الذين انخرطوا في مجال العمل على أصناف منهم: المكرَه والمجبر والمريدُ للعمل بالرضى والقبول، والذين لا يعملون أصناف: منهم: غيرُ الواجد للعمل والمكتفي بنفسه أو بغيره وغير المكتفي الذي لا يريد العمل. فالتصانيف كثيرة والنظرة الإسلامية لهذا

الأمر كبيرة، يقول الله سبحانه في القرءان الكريم: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾[175]، قال الضحاك: هذا إذنٌ من الله، فمن شاء خرج، ومن شاء جلس.

ومن هذه الآية وهذا التفسير ننطلق في كلامنا بإذن الله، فالعمل فيما أحل الله أمرٌ ممدوح في شرع الله، وفي حالات يكون واجبًا على الإنسان حيث يجب عليه أن ينفق على من وجبت عليه نفقتُهم وليس لديه ما يكفيه لذلك كزوجه وأولاده الصغار.

وفي حالات كثيرة يكون الإنسان غير ملزم بالإنفاق أي كأن يكون ليس له زوجة ينفق عليها أو أولاد صغار أو أبٌ أو أمٌ لزمه نفقتهم أو أمور أخرى، فهل يعمل أو يقعد في بيته؟ دعونا نأخذ الجواب من رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال: **(لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ، فَيَأْتِيَ بِحُزْمَةِ الحَطَبِ علَى ظَهْرِهِ، فَيَبِيعَهَا، فَيَكُفَّ اللَّهُ بِهَا وجْهَهُ خَيْرٌ له مِن أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ)**.

فمن كان فقيرًا ولا يجد وظيفة يعتاش منها، هذا وإن كان يجوز له أن يأخذ من مال الزكاة لكونه فقيرًا أو أن يسأل النّاس إعطائه مع القيود الشرعيّة حتى لا يدخل في الشّحاذة المحرّمة، فالأفضل أن يفعل كما علّم الرسول صلى الله عليه وسلم أن يخرج

[175] [الجمعة: 10].

ويعمل أيّ عمل لا يخالف الشرع، حتى ولو جمع الحطب وحمله على ظهره ثم باعه ليأكل ويشرب، هذا أفضل له من أن يسأل النّاس.

الإنسان يحتاج للأكل والشرب والمسكن والملبس وغير ذلك من الأمور الأساسية، وهذه الأمور لا يُحصل عليها غالبا إلا بمقابل، فيشتري الواحد منا بماله خبزا أو ماء ويتخذ به مأوى ومنزلا. لكن من أين يُحضر هذا المال؟ يوجد طرق كثيرة: منها الممنوع ومنها المسموح، والشرع أحلّ لنا كلَّ طريق وسبيل نتكسّب به المال على الوجه المشروع، ونهانا وحرّم علينا كلَّ طريق نتكسّب به على وجه غير مشروع، وحثّنا على العمل وطلب الرزق وعدم مسألة النّاس.

فإذًا فالنّاس بطبيعة الحال بحاجة للعمل الذي يكتسبون منه المال بطريق مشروع لا يخالف الشريعة، والحديث الذي ذكرته آنفًا من أقوى الأدلة على أن الإسلام يدعو للعمل وطلب الرزق والهمة العالية وعدم الجلوس في البيت لغير حاجة، ومن أهم الأشياء التي يحث عليها الشرع كذلك هو أن نعلو ونرتقي ونعمل ونجتهد ونرتفع ونتقدم بأممنا ومجتمعاتنا وأنفسنا نحو الأفضل لنكون الأقوى، والمؤمن الذي يريد أن ينصر الدين ويدافع عن قضيته الإسلامية لا ينبغي أن يكون ضعيفا كسولا ثابطَ الهمة بل المطلوب أن يكون بخلاف ذلك وأن يحارب نفسه الأمارة بالكسل.

وما يحصل اليوم من فساد وسرقات ونهب ونصب واحتيال ترجع أحد أهم أسبابه إلى البطالة وغيرها من الأسباب، وهذا يدعو للتفكر وأخذ الأمر على محمل الجدّ، فالسرقة والنهب وقطع الطريق والقتل وتفكك المجتمعات وكثرة الجريمة أعمال انتشرت لا سيّما بعد ما قلّ الوازع الديني وكثُر الجهل، وساهم في ازديادها عدم توفرّ فرص العمل وانتشار البطالة بنسب كبيرة خاصة بين صفوف الشباب، فذهب كثير منهم إلى ارتكاب الجرائم وهتك الأعراض، وهذا ليس تبريرًا لأحد، ولكنه واقع الحال المؤلم. لذلك من المهم أن يُعاد النظر في الطريقة التي يُتعاطى بها مع الاقتصاد الإسلامي والنظام الشرعي، والعمل على برامج لإعادة هذا النظام ليرسخ في العالم الإسلامي من جديد، فيسود العدل وتتحقق العدالة الاجتماعية.

يقول علماء الاقتصاد: (إن نجاح البلد وضمان سلامته يكمن في اقتصاده القوي وإن الاقتصاد القوي يعتمد بشكل كبير على الإنتاج المحلي) فالإنتاج وما يقابله من الاستهلاك وضمان الجودة ونحوه يُعد من أقوى العوامل التي تحافظ على أمن وسلامة البلاد، لأن البلد الذي يعتمد على إنتاجه وما يُصدره ليس كغيره من البلاد الغير منتجة وهذا من الأمور البديهية، ولقد رأى الجميع في الآونة الأخيرة كثيرًا من البلاد غير المنتجة سقطت عند أول أزمة اقتصاديّة ألمت بها كـ"لبنان" على سبيل المثال، وبلادًا صمدت بالرغم من كثير من الأزمات الاقتصادية والأمنية والسياسية التي مرّت

بها ومثال ذلك "مصر" و"سوريا" فإنهما وإن ضاق العيش بكثير من سكانهما إلا أنهما صمدوا "اقتصاديًا" بوجه كل هذه التحدّيات.

وإذا نُظر إلى البلاد غير المنتجة والتي تستورد أكثر متطلباتها الأساسيّة من الخارج وخطوط الإنتاج فيها ضعيفة لأسباب كثيرة منها الفساد المنتشر والمتحكم في أرجاء البلد أو لأسباب أُخرى، للوحِظَ أنها هي التي تعاني اليوم من الفقر والعوز وترتفع فيها نسب البطالة أكثر من غيرها، وكانت فيها المحكومية للغرب لا الحاكمية المستقلة، بخلاف الدول التي تسمّى اليوم بالدول المتقدمة –أعني دول الغرب– فإنها ومع كونها تستورد كثيرًا من الخامات من الخارج إلا أنها تُوظّف تلك الخامات لخدمة أعمالها في البلاد وهي التي تتحكم من خلال سياساتها بالدول الأضعف منها. فعدم الإنتاج أو الإنتاج الضعيف يدفع إلى ضرورة إعادة التفكير في اقتصاد البلاد وإعادة تنميتها ضمن خطط مدروسة سليمة. ولا ينبغي أن يُتناسى أن استيراد الاحتياجات الأساسية من الخارج يُسهّل دخول الأفكار والعادات والتقاليد الغربية وسيطرتها على مجتمعاتنا بشكل أكبر، وهذا ما حصل في بلاد كثيرة كالفلبّين والهند وغيرها.

فالعمل على علاج البطالة وتوفير فرص العمل أمر في غاية الأهمية يساهم بشكل كبير في علاج معضلات اجتماعية ومشاكل كثيرة منتشرة، والأصل في العلاج كما مرّ ترسيخ قواعد النظام الإسلاميّ من جديد فإنه يعمل في العلاج على عدة

محاور عملية ونظرية، فيُخرج لنا جيلًا مُعدًّا مهنيًا وأخلاقيًا وقيميًا، وهذا ما يتطلبه المجتمع ليرتقي وينمو ويقوى.

الخاتمة

الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد، الذي خلق الكون وقدّر عليه الفناء، وصلى الله على خاتم الأنبياء والمرسلين أبي القاسم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وعلى كل رسولٍ أرسله وعلى صحبه الكرام البررة الطيبين الطاهرين.

يقول الله تعالى في قرآنه الكريم: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾[176]، ها قد وصلنا إلى ختام الكتاب الذي تناول بعض الأمور المهمة الضرورية وبعض المشكلات المنتشرة في مجتمعاتنا مع ذكر بعض الحلول التي تساعد في العلاج سائلا المولى جلّ جلاله القبول. ونصيحتي لك أخي المسلم أن تتعلم أمور دينك من أهل العلم والثقة بالطريقة الصحيحة السليمة، فالمسلم عليه أن يتفقه بدينه ويتعلم تعاليمه وأحكامه الضرورية.

أخي المسلم... أختي المسلمة، المسلم الذكي يتبع النبي صلى الله عليه وسلم، والاتباع لا يكون عن جهل إنما بعلم ومعرفة، وكلما زادت معرفة الإنسان المسلم بدينه

[176] [التوبة: 105].

كان نفعه لمجتمعه الذي هو فيه أكثر مهما كانت وظيفته أو مكانته الاجتماعية، إن التزم بما تعلمّه.

فهنيئا لمن تعلّم وتفقّه وعمل بما علم واشتغل بنشر العلم الشرعي الصافي والسليم بين الناس لا سيما في هذا الزمن، الذي يكون فيه الإنسان القابض على دينه كالقابض على جمر.

سائلا الله عز وجل أن يكتب لي الأجر في عملي هذا وأن يتقبله مني فإنه على كل شيء قدير وبعباده لطيف خبير وبالاستجابة جدير.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي.
- الدر المنثور في التفسير المأثور، السيوطي.
- صحيح البخاري.
- صحيح مسلم.
- السنن الكبرى، النسائي.
- السنن، أبو داود.
- الموطأ، الإمام مالك.
- مسند أبي يعلى.
- مسند أبي داود الطيالسي.
- مسند البزار.
- الأدب المفرد، البخاري.
- المعجم الكبير، الطبراني.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر.
- روضة الطالبين، النووي.

- الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير، السيوطي.
- العزيز شرح الوجيز، الرافعي.
- لسان العرب، ابن منظور.
- مذكرات السلطان عبد الحميد السياسية.
- الذريعة الى مكارم الشريعة، الأصفهانى.
- الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، المرْداوي.
- تسهيل النّظر وتعجيل الظفر، الماوردي.
- الزهد والرقائق، ابن المبارك.
- موقع هيلث سونترال.
- موقع هيلث هارفرد.
- موقع هيلثي غيمير.
- موقع معرفة للدراسات.
- صحيفة الخليج الالكترونية.
- موقع "العربي الجديد".
- موقع العربية.

الفهرس

مقدمة.....6
القسم الأول العقائد 13
الشرك بنوعيه الأصغر والأكبر 14
أبواب الكفر وأنواعه 26
محاربة التطرف البغيض 35
الجماعات التكفيرية الشمولية 43
القسم الثاني مشاكل اجتماعية 60
العنف ضد المرأة.....61
التنمّر 79
عقوق الوالدين 86
انحطاط وفساد في المجتمع 103
خطر الألعاب الإلكترونية.....113
مواقع التواصل الاجتماعي إيجابيات وسلبيات 121
إيجابيات مواقع التواصل الاجتماعي:.....125

بعض سلبيات هذه المواقع: 127
الزنا وآثاره السلبية على الفرد والمجتمع 135
التقليد الأعمى للغرب..... 144
ارتفاع المهور وكثرة المجون..... 157
قصة وعبرة:..... 164
التعصّب..... 168
الأحزاب والجماعات الدينية 175
العنصرية البغيضة 183
التشبّه الممدوح والمذموم 190
التشبّه الممدوح:..... 193
التشبّه المذموم:..... 194
ظاهرة خلع الحجاب..... 201
البطالة 210
الخاتمة..... 216
المصادر والمراجع:..... 218
الفهرس 220